أثر المؤسسة الدينية المسيحية في قيام الحملة الصليبية الأولى(١٠٩٥-١٠٩٩م) ومسؤوليتها في تبني الصورة السلبية عن الاسلام

أستاذ مساعد دكتور يونس عباس نعمة
رئاسة جامة بابل/مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
Younisabbs255@gmail.com.

الخلاصة:

كانت البابوية بحاجة الى عدو جديد لتطوير هويتها الجديدة بعد أن خرجت من الاختبار الصعب امام السلطة الامبراطورية ولإعادة توحيد الكنيسة وكان المسلمون الذين يطلق عليهم في أوربا السارسين هم ذلك العدو الجديد، ولحد ذلك الوقت لم يكن لمسيحيي أوربا أي معرفة حقيقية بالمسلمين ولا يعرفون شيئاً عن ديانتهم، واقتصرت معرفتهم بأن الذي يسيطر على إسبانيا هم السارسين وهم ليسوا نصارى ومن ثم فهم وثنيون، وتم تصوير المسلمين في الأناشيد المآثر بعبدة الأصنام، وعبادة الأصنام افضل مبرر لشن حرب المقدسة تعد واجباً دينياً مسيحياً، وقد استغلت البابوية طلب الدعم العسكري ووجدتها الفرصة المناسبة للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية في الشرق والسيطرة على الاماكن المقدسة.

هذه الورقة البحثية تتناول الأسباب الداخلية في أوربا والتي دعت المؤسسة الدينية الاقدام على تبرير الحرب الدينية ضد المسلمين في الشرق وإضفاء صفة القدسية عليها والتي عرفت بالحملات أو الحروب الصليبية والتي حدد مدتها (١٠٩٥-١٢٩١)، ولازالت آثارها باقية وتتردد كلما حدث خلاف بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، كذلك تُركز على الصورة السلبية للإسلام أبان تلك الحملات على الرغم من ظهوره وانتشاره لحوالي خمسة قرون خلت قبل أن تبدأ اول حملة صليبية.

الكلمات الدالة: أوربا، الحروب الصليبية، السارسين، المسلمين، المقدسة

Abstract

Western sources differed on the concept of the Crusades and divided them into four sections. First, the Crusades were defined as those that were carried out in the Holy Land to help Christians and to restore Jerusalem and for the period (1095-1291. In the second part, the term was given to all the campaigns that came out in accordance with the papal orders. This trend was presented by historians of the Crusades in the Middle Ages.

Any campaign against the Pope's enemies promised legitimacy and a crusade away from its cause, justifications, and geographical location. Doctrine, while the latter section reduced the crusade to the first crusade only.

In the 11th century, a number of reasons came together to lead to the first Crusade on the East, which was the direct reason from the Western point of view

against the Seljuk Turks who had taken control of many areas belonging to the Eastern Church, especially the Christian Holy Land in Jerusalem and at the request of the help of the Empire.

Key word: Crusades, Christians, Holy Land, historians

المقدمة

اختلفت المصادر الغربية حول مفهوم الحملات الصليبية وقسمتها الى أربعة أقسام الاول عَرف الحملات الصليبية بأنها تلك الحملات التي قامت في الاراضي المقدسة لمساعدة المسيحين واستعادة أورشليم وبيت المقدس للمدة (١٠٩٥-١٢٩١)، القسم الثاني أطلق المصطلح على جميع الحملات التي خرجت تنفيذا للأوامر البابوية وهذ الاتجاه مثله مؤرخو الحملات الصليبية في العصور الوسطى وعدت أي حملة ضد أعداء البابا شرعية وصليبية بعيداً عن سببها وتبريراتها وموقعها الجغرافي فمحاربة الوثنيين والهراطقة والحملات في فرنسا والمانيا والحروب التي قادتها البابوية في القرن الثالث عشر عدت جميعها ضمن الحملات، والقسم الثالث أطلق مصطلح الحرب الصليبية على كل حرب مقدسة مرتبطة بالكنيسة اللاتينية والقتال دفاعاً عن العقيدة ، فيما القسم الأخير حدد الحرب الصليبية بالحملة الصليبية الأولى فقط.

أهمية هذه الورقة البحثية تنطلق من تناولها الدوافع من وراء الحملة الصليبية الأولى من وجهة النظر الغربية التي تعد جزءاً من تاريخ العصور الوسطى الاوربية ، ولاسيما المؤسسة الدينية البابوية التي هي الأساس في حشد الجماهير للمشاركة في الحملة الصليبية الاولى ، وهي الأساس في تبني الصورة السيئة عن الاسلام ونبيه والتي تلقفها المؤرخون الاوربيون الذين أرخوا للحملة الصليبية الاولى وشاعت في الاوساط الاوربية ، ولازالت تتردد في وسائل عدة وتحدث مشاكل كبيرة وآخرها حملة الرسوم الكاريكاتورية التي شنت ضد الرسول محمد(ص) ، قسم البحث وفق عدة مواضيع تناول الاول مصطلح الحملات الصليبية والحضور الدائم عبر التاريخ ووناقش الثاني أسباب قيام الحملة الصليبية التي من أهمها أثر(التضييق) في زيارة الاماكن المقدسة على قيام الحملة الصليبية الاولى واستغلال البابوية لتوتر العلاقات بين السلاجقة الأتراك والبيزنطيين والهروب من المشاكل الداخلية باتجاه الشرق ، فيما ركز الثالث على خطوات أوربان التصعيدية واحتجاجه بحرمان المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية وخطابه في مجمع كليرمونت في ٢٧تشرين الثاني ١٠٩٥، ورسالة البابا أوربان الثاني الى الفلاندرز في كانون الاول ١٠٩٥ ورسالته الى أنصاره في بولونيا في ١٩أيلول١٠٩٦ ورسالة البابا أوربان الثاني الى فالومبروسا في ٧تشرين الاول ١٠٩٦ فيما تناول الرابع توثيق الحملات الصليبية وفق ما جاء به المؤرخون الغربيون وفي الخامس تطرق الى مؤرخو الحملة الصليبية الاولى وناقش الموضوع الاخير صورة الاسلام وفق ما جاء به المؤرخون الى نهاية الحملة الاولى.

أولاً : مصطلح الحملات الصليبية والحضور الدائم عبر التاريخ

مصطلح الحملات الصليبية في أي وقت ذكر دلالة على إشارة مهمة لحملات نظمت بدقة وخطط لها بإسم الدفاع عن الدين المسيحي ، وجرى الاعداد لها في غربي أوربا وأشرفت عليها المؤسسة الدينية الكاثوليكية

الراعي الاول للمسيحين في أوربا ، وتحت قيادة بابا الفاتيكان رأس الهرم في التدرج الديني المسيحي ، واستمرت للمدة (٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) والهدف المعلن التصدي للأتراك بعد فرضهم السيطرة على الاماكن المقدسة في القدس لاسيما بعد انتصارهم على البيزنطيين في معركة ملاذ كرد ، وتهديدهم الفعلي للقسطنطينية عاصمة الكنيسة الأرثدوكسية[١]، تسمية الصليبية إشارة واضحة للصليب الذي رُفع شعاراً وتم خياطته على ملابس كل من تجهز للذهاب في حملة باتجاه الشرق لتحرير الاراضي المقدسة وأتخذ اللون الاحمر في علامة واضحة على التضحية في سبيل الدين وتحرير الأرض التي تمثل مهد يسوع نبي المسيحيين الذي ولد وعاش ودعا الى الله وصلب دفاعاً عن قضيته على تلك الارض[٢].

ارتبطت الحروب الصليبية بالتطرف والتعصب الأعمى ، الذي سبب سفك الدماء تحت ذرائع واهية وكتب المفكر الفرنسي جان ميليه " إن الايمان الاعمى حمل المتعصبين على الدفاع عن دينهم حتى لو تعرضوا لخطر الموت وهم يطاردون بعضهم بعضاً بالنار والسيف "، وتردد مصطلح الصليبية حتى في أدبيات مؤسسي الفكر الشيوعي في إشارة واضحة الى إرتباطه بالرجعية ، وقد ذكر كارل ماركس في البيان التأسيسي لجمعية الشغيلة العالمي مادحاً الطبقة العاملة البريطانية عاداً إياها قاومت ببسالة من أراد القيام بحملة صليبية لأجل ترسيخ العبودية في الجانب الآخر من المحيط الاطلسي ، وفي سنة ١٨٧٣وصف الاعمال الحكومية القمعية الاوربية بالحملة الصليبية التي تتبناها القوى الرجعية في أوربا، وذكر أنجلز رداً على المعترضين على فكرة ديكتاتورية البروليتارية بوصفهم شنوا حملة صليبية ، وذهب لينين أن ما تقوم به الحكومة الايرلندية ضد الطبقات العاملة حملة صليبية[٣].

أثير المصطلح في الحرب العالمية الاولى وفي استفزاز سيء للمسلمين ، نشرت الصحف البريطانية صورة للقائد البريطاني اللنبي في حملته على القدس تحت عنوان الحملة الصليبية الثامنة والاخيرة ونقلت عنه بعد دخوله القدس "اليوم انتهت الحروب الصليبية " وفي موقع آخر نشرت عن وزير خارجية بريطانيا لويد جورج في حديث أمام مجلس العموم هنأ فيه القائد اللنبي أحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية ، وأستخدم الجنرال غودو المصطلح بعد انتصاره في موقعة ميسلون خارج دمشق والأكثر من ذلك توجه الى قبر صلاح الدين واضعاً قدمه عليه مطلقاً عبارته الشهيرة "ها قد عدنا يا صلاح الدين"[٤].

تم استخدام المصطلح ايضاً بعد أحداث ١١أيلول سنة ٢٠٠١والذي دمر فيه مركز التجارة الدولي في نيويورك وراح ضحيته عدة آلاف من الناس الأبرياء، ونسب الاعتداء لمسلمين عرب استخدموا الطائرات ، مما أدى الى تغير وجه العلاقات الغربية الاسلامية ودمرت بلداناً ولاتزال ، كل ذلك ترتب على ردة الفعل وَعُد الاسلام والمسلمون في خانة الارهاب ، وقد أطلق رئيس الولايات المتحدة الامريكية جورج دبليو بوش على حملته ضد (الارهابيين) مصطلح الحملة الصليبية ، وبعد كثرة الانتقادات له وما يمكن أن تنتج عنه وما تسببه من حرج لحلفاء الولايات المتحدة العرب ، ذكر المتحدث بإسم البيت الابيض ان الرئيس لم يقصد من كلامه أيقاظ الاحقاد الصليبية القديمة [٥].

مثلت الحرب الصليبية عند المؤرخين الكاثوليك شيئاً يبعث على الفخر ورغبة صادقة وجياشة عاشها المسيحون في طاعة المؤسسة الدينية و أيقظت الوجدان المسيحي وشكلت مرحلة جديدة في الاندفاع شرقاً وإنقاذ الاماكن المقدسة من الاعداء[٦]، وذهب المؤرخون العلمانيون البعيدون عن التعصب الديني أن هذه الحروب غلفت بغلاف ديني استغل فيه بسطاء الناس ، فيما كان الهدف المهم البحث عن خيرات الشرق التي كانت في مطامع الفرسان الأوربيين عند بحثهم عن اراضٍ جديدة ، بعد أن سادت الخلافات والحروب على الاراضي لاسيما وان

نظام الوراثة في المانيا وفرنسا منح الارض الى الابن الاكبر بعد وفاة ابيه ، وزيادة النبلاء تعني زيادة المشاكل حول الارض واللجوء الى العنف والسيطرة على الارض بالقوة[٧].

ذكر أحد المؤرخين "كانت انتصارات الحملات الصليبية انتصاراً للإيمان ولكن الايمان دون حكمة أمر خطير ففي التتابع الطويل للتفاعل والانصهار بين الشرق والغرب الذي نمت حضارتنا من طياته ، كانت الحروب الصليبية تمثل حقبة مأساوية ومدمرة...إذ كان هناك قدر كبير جدا من الشجاعة وقدر شحيح من الشرف، وكثير من الاخلاص في مقابل النزر اليسير من الفهم ، وقد تلوثت المثل العليا بالقسوة والطمع كما تلوثت العزيمة والتحمل بنوع من الاعتقاد الاعمى والغبي بصحة الموقف الذاتي ولم تكن الحرب المقدسة نفسها أكثر من عمل طويل من التعصب باسم الرب وهي خطيئة ضد الروح القدس[٨].

ثانياً : أسباب قيام الحملة الصليبية

١- أثر(التضييق) في زيارة الاماكن المقدسة على قيام الحملة الصليبية الاولى

أطلق المعاصرون للحملات الصليبية عليها بعدة مصطلحات أهمها مصطلح الترحال أو التطواف Peregrination ويقصد به الحج وترك الديار والترحل في حب الله وهي تفسر الطقوس الدينية التي تمارس في القدس منذ القرن الرابع الميلادي ، وساهمت البابوية في تشجيع ودعم الزيارة الى روما التي تضم في أرضها رفات القديسين ، والمصطلح الثاني هو الحملة Expeditio وكذلك الطريق الى الاراضي المقدسة The way to the holy land واستمر استخدام مصطلح الحج للإشارة الى الحملات الصليبية في القرن الثالث عشر ولحد ذلك الوقت كان يدل على الزائرين للأرض المقدسة المسلحين وغير المسلحين وفي القرن الرابع عشر ظهر مصطلح الحملة الصليبية Expeditio Curcis [٩].

إن الرغبة في زيارة الاماكن التي تحظى بالتقديس في أي ديانة متجذرة في طبيعة الأنسان البشرية فوقوف المرء في المواقع التي عاش فيها الأنبياء والحواريون والقديسون والمدافعون عن القيم الدينية يبعث شعوراً روحياً وتسامياً عالياً ، والسير في تلك الأماكن وإقامة الشعائر يذكر بالذين أفنوا حياتهم وضحوا في سبيل المبادئ السامية لاسيما في إعلاء كلمة الله ، ولأنه تاقت أرواح الناس إلى الترحال والسياحة في كل أنواعها فالأولى الترحال وزيارة الأماكن التي اتخذت صفة التقديس بمرور الوقت ، وفرضت نفسها عبر التاريخ لاسيما بعد تضحيات أصحابها[١٠].

واكب المسيحيون إقامة الطقوس اليهودية في مدينة القدس ، ومع الوقت كسبت المدينة أهمية عند القديسين، وبظهور رؤى وأفكار نادت بالقول أن الأماكن التي ولد وعاش وناضل وصلب بعد أن عذب السيد المسيح لها أهمية وقوة روحية يمكن أن تساعد على محو الذنوب وتعززت الرغبة لكل مسيحي في زيارة الأماكن التي تجسد فيها وتقفي خطواته وحواريه وخطوات الأنبياء[١١].

أكد المسيحيون في القرن الثالث الميلادي على الموقع الذي ولد فيه السيد المسيح في مدينة بيت لحم وعلى جبل الزيتون وحديقة جثمان والمكان الذي عرج فيه السيد المسيح للسماء ، وعدت زيارة الأماكن المقدسة لاكتساب الفضائل الروحية جزءً مهماً من الأيمان ، وحدث تطور مهم في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين بعد أن تبنت والدته هيلينا حملة ضمت خبراء في الآثار وتوجهت الى القدس لاكتشاف المكان الذي صلب فيه

السيد المسيح ، واستقر رأي الامبراطور بعد التحري والاستكشاف بناء كنيسة القيامة والتي باتت علامة بارزة ومعلماً مهماً ومطمحاً لكل مسيحي بزيارتها عبر العصور[١٢] .

منحت زيارة الأماكن المقدسة جرعة مهمة بعد أن قرر القديس جيروم في نهاية القرن الرابع السفر الى القدس مع مجموعة من الراهبات والاستقرار فيها ، وعد موقعه الجديد مزاراً لأبناء الديانة المسيحية لاسيما المستفتين عن أمور دينهم ودنياهم ، وذكر جيروم أن الصلاة في الأماكن التي وطأتها أقدام السيد المسيح لها مكانة إيمانية عليا ، ومع الوقت بلغ عدد الأديرة في القدس وما حولها مائتين تحت رعاية الإمبراطورية ، والجدير بالذكر القول أن هناك من عارض زيارة الأماكن المقدسة فرأى فيها القديس أوغسطين مخاطرة على النفس ، وعدها القديس حنا تساهم في ضياع الوقت وترك الواجبات الكنسية في الذهاب بعيداً الى القدس، وأنه يمكن اختصار الزيارة على القاء نظرة والعودة الى البلاد[١٣].

أول من زار الأماكن المقدسة رجل من مدينة بوردو الفرنسية Bordeaux سنة ٣٣٣ وفي سنة ٣٨٠ سافرت سيدة تدعا أجيرا Egeria للأراضي المقدسة لتقيم ثلاث سنوات وكتبت تقريراً عن زيارتها، وفي منتصف القرن الخامس انتقلت ايوديسا Eudocia زوجة الامبراطور ثيودسيوس الثاني الى القدس ، واهتمت بجمع الآثار وكتابة الأناشيد الدينية ونقلت الكثير من الآثار الى القسطنطينية وأهمها لوحة السيدة العذراء التي رسمها القديس لوقا، ومنذ ذلك الوقت بدأت عملية نقل التحف الدينية من الشرق الى الغرب ، ذلك أن أغلب القديسين والشهداء المسيحيين كانوا شرقيين ويحضون بتقدير كبير، وذكر كل من برودينيوس وابنوديوس أن العون الإلهي يمكن أن يستمد من قبور القديسين ، وبعد أن كثرة الأخبار عن أهمية زيارة قبور القديسين ، كثر الترحال لمسافات بعيدة للوقوف على الآثار المقدسة والرجوع ولو بشيء بسيط من الأماكن المقدسة يعد عملاً مهماً ، فقد كان سكان لانجر يفخرون بحيازتهم أصبع من أصابع القديس ماماس فكيف أذا أمكنهم الوقوف على قبره في مدينة قيصرية في كابادوكيا، وعندما عادت سيدة من مورين وقيل إن معها اثر من القديس يوحنا ، دفع ذلك جميع أقاربها للسفر الى السامرة لمشاهدة مكان جسده والى دمشق حيث رأسه[١٤].

أُرسلت البعثات الى الشرق على أمل الحصول على قطرات من الدم المقدس أو شيء من الصليب الحقيقي ، ومعظم الكنائس التي أقيمت في الغرب سميت بأسماء القديسين الشرقيين وخصص جزء من عوائدها لإرساله الى الأماكن المقدسة التي أخذت عنهم أسماءها ، وفي سنة ٦٧٠غادر الأسقف الفرنجي أركولوف الى الشرق وزار مصر وسوريا والقدس وقضى عدة سنوات، وقد أعتاد الزوار في اثناء العودة الاحتفاظ بذكرى تؤكد زيارتهم للأماكن المقدسة ، كرفات القديسين والشهداء وملابسهم وأدواتهم الشخصية ، ومكانة الزائر عند عودته الى بلاده تعتمد كثيراً على ما جاء به من المدينة المقدسة لكي توضع في الكنائس[١٥].

تعاطف المسلمون بعد سيطرتهم على الأراضي المقدسة وسمحوا للحجاج المسيحين بممارسة طقوسهم ، وعثر على وثيقة في سنة ٨٠٨ عرفت بمفكرة كنائس القدس Commemorate Odium on the Churches of Jerusalem تم فيها إحصاء الكنائس والأديرة في القدس والمدن المجاورة وضمت أسماء الأساقفة والشماسة والرهبات وتوضح فيها ازدهار الكنائس وأداء واجباتها بشكل طبيعي ، وفي ذلك الوقت شهدت العلاقات بين الشرق والغرب تطوراً إيجابيا بين الدولة العباسية والإمبراطورية الرومانية بقيادة شارلمان.

شهد مفهوم زيارة الأماكن المقدسة تطوراً مهماً في التحول من فكرة العاطفة الجياشة الى قضية تكفير الذنوب ، فقد أدخل المشرعون الكنسيون شعيرة تكفير الذنوب عن طريق الترحال الى الاماكن المقدسة ، ومنذ القرن الثامن أصبحت زيارة الاماكن المقدسة في شتى المناطق لاسيما القدس طقساً من طقوس الكنيسة وممارسة

دينية في أوربا وظهرت كتابات تحت عنوان التكفير عن الذنب Poenitentialia ، وتعددت المزارات في أوربا التي قصدها الناس ومنها رفات القديس جيمس St.James الذي شيد له ضريح في كومبو ستيلا ليصبح من المزارات المهمة في المسيحية ، كذلك قبر القديس بطرس في روما والقديس سان ميخائيل في مونت جوجانو ، وكان يمكن أن تستغرق رحلة التكفير عدة سنوات ، ومن الرحلات المدونة في الارشيفات رحلة لثلاث أخوة من جنوب إيطاليا حكمت عليهم الكنيسة تقييد انفسهم بالسلاسل والطواف حول الأماكن المقدسة بعد قتلهم لعمهم ، وسجلت رحلة لتكفير الذنوب لرجل يدعا فروتموند للاماكن المقدسة في الشرق بعد قتله عمه وأخاه [١٦].

عد التحول في الفكر الكنسي واعتبار الزيارة للقدس وسيلة لنيل الغفران تطوراً مهماً على الرغم من رفض مجمع شالون Chalon سنة ٨١٣ الفكرة القائلة بأن الزيارة الى القدس تمحو الذنوب ، وقضية التكفير والخلاص اتخذت شكلها بعد ارتباط الزيارة بمدينة القدس وبالغ عدد من الزوار في تعريض أنفسهم للعذاب والخطر حتى يحصل على شهرة وقداسة أكثر من غيره ، وبدأ عصر جديد منذ القرن العاشر شهد زيادة مهمة في الترحال الى الأماكن المقدسة ، لاسيما بعد أن خسر المسلمون السيطرة على جنوبي فرنسا وجزيرة كريت سنة ٩٦١ وسيطرة الفاطميين على بيت المقدس وتسامحهم مع أتباع الديانات وأقامتهم المعاهدات مع الدولة البيزنطية التي عززت قواتها في البحر المتوسط[١٧]، وأثر دخول المجر بملكها وشعبها الديانة المسيحية على زيادة الزائرين بعد تأمين الطريق البري للشرق المار عبر البلقان الى القسطنطينية ، وساهمت الحركة الاصلاحية الكلونية ببناء الأديرة التي شكلت شبكة واسعة لتسهيل طريق الزائرين وإقامة أماكن ضيافة على الطريق الى القدس ، وقدم التجار ولاسيما من إيطاليا الاموال اللازمة للإنفاق على طريق الزيارة وأماكن الضيافة[١٨].

تضاعفت رحلات الزيارة في القرن الحادي عشر وجاء في مذكرات الراهب رودلف جلابير زيادة كبيرة في عدد الزوار للشرق للوقوف على ضريح المخلص في القدس ومن جميع أنحاء أوربا وتنوعت الطوائف التي رحلت باتجاه القدس وشارك فيها الامراء والملوك، فقد رحل الكونت أنجو فولFoulque Nerra الذي أتهم بقتل زوجته للتكفير عن ذنبه ، ودوق نورماندي روبير والد وليم الفاتح بعد اتهامه بدس السم لأخيه ريتشارد، ، وأخذت الأمور منحى مهماً في نهاية القرن الحدي عشر بعد سيطرة فكرة النهاية الألفية والأخروية ، ورحل الكثير من الناس للتواجد في القدس بعد اعتقادهم بقرب ظهور المسيح الدجال لكي يقاتلوه ، وعدت القدس عند الكثير غاية قصوى ونهائية يجب على المؤمن الوصول لها ، ومع الوقت وتحول الحج من شعيرة للتكفير عن الذنوب الى عملية تكفير جماعية وحمل الزائرين معهم السلاح خوفاً من المشاكل في الطريق وفي سنة ١٠٥٤وصل ٣٠٠٠حاج وشهدت سنة ١٠٦٥وصول ٧٠٠٠زائر مسلح[١٩] .

٢ - استغلال البابوية لتوتر العلاقات بين السلاجقة الأتراك والبيزنطيين

من الأمور الاساسية وراء الحملات الصليبية رغبة البابوية ضم الكنيسة الشرقية الأرثدوكسية تحت سلطة البابا، ذلك أن تأسيس مدينة القسطنطينية قام على اعتبارات دينية أكثر منها سياسية ، فقد أسست لتكون منافسة لروما في السيادة ومع الوقت أصبحت عاصمة دينية وسياسية أدت دورها حتى سنة ١٤٥٣، والقسطنطينية تعد الخط الأول في الدفاع ضد توسع المسلمين ، وتوترت علاقتها مع المسلمين بعد أن أبعدَ

السلاجقة البيزنطيين من معظم آسيا الصغرى و شمال بلاد الشام ، ووصلت سيطرة السلاجقة لمدينة مطلة على بحر مرمرة من ضفته الشرقية مقابل للقسطنطينية [٢٠] .

من المعروف أن المسلمين سيطروا على القدس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في سنة ٦٣٨م، وفقدت الامبراطورية الرومانية السيطرة على الاماكن المقدسة المسيحية ، وعرفت مدة سيطرة المسلمين بالتسامح مع الاديان الاخرى واستخدام أماكن العبادة وتعايش الجميع لعدة قرون لتمضي أربعمئة سنة قبل محاولة المسيحين استعادة الأراضي المقدسة ، لاسيما عندما هدد السلاجقة الامبراطورية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية[٢١].

تدهورت العلاقات أكثر فأكثر بعد تولي أرسلان حكم السلاجقة سنة ١٠٦٣، إذ ركز جهوده ضد البيزنطيين والفاطميين واستولى على أرمينيا ودمرها سنة ١٠٦٤، وفي سنة ١٠٦٦سيطروا على جبال أمانوس ونهبوا قيصرية وواصلوا زحفهم باتجاه سلطية وسيواس وكل ما تبقى من ارمينيا سنة ، ١٠٦٧وهاجموا عمورية وقونية سنة ١٠٦٩، في تلك الأثناء العصيبة على البيزنطيين مات الامبراطور البيزنطي قسطنطين العاشر سنة ١٠٦٧ وتولت الحكم زوجته أيدوسيا الوصية على إبنها الصغير وتزوجت في سنة ١٠٦٨ قائد الجيش رومانوس ديوجين والذي أسرع في اعادة انتشار قواته وضم مجندين جدد حتى وصل العدد لمئة ألف مقاتل[٢٢].

تقدمت القوات البيزنطية الى أرمينيا وكان ألب أرسلان في طريقه الى حلب فعاد بأدراجه الى أرمينيا ومعه ١٥الف مقاتل وشجعه الفقيه ابو نصر محمد بن عبد الملك النجاري الحنفي بالقول "أنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الأديان وأرجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح ، فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي يكون فيها الخطيب على المنابر فأنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة ، وفي ١٩آب ١٠٧١أنتصر السلاجقة على البيزنطيين وأَسروا قائدهم في معركة ملاذ كرد[٢٣]، وتابع السلاجقة انتصارهم بالاستيلاء على أنطاكية سنة ١٠٨٥وتوغلوا في آسيا الصغرى حتى وصلوا نيقية واتخذوها عاصمة لهم وبعد وصولهم بحر مرمرة باتو يشكلون خطراً كبيراً على عاصمة البيزنطيين القسطنطينية مما أضطر الامبراطور الكسيوس عقد صلح معهم[٢٤].

عدت موقعة ملاذ كرد من أكبر الهزائم التي تعرض لها البيزنطيون في تاريخهم ، وعرفت في الغرب المعركة التي فقد عن طريقها البيزنطيون لقب حماة الدين المسيحي ، وسرعت في التدخل الغربي لاسيما بعد الخلافات بين البيزنطيين أنفسهم ، وترسيخ السلاجقة حكمهم واقتصر حكم البيزنطيين على عدد من المدن الساحلية على بحر مرمرة وشهدت الدولة البيزنطية فوضى وصراعات اقطاعية ، وأفاد البابا غريغوري السابع من المصاعب البيزنطية لكي يقدم مشروعه في توحيد الكنيسة وضم الكنيسة الشرقية لسلطته ويوسع من نفوذ البابوية دينياً ومادياً ، ولذلك لجأ للأسلوب الدبلوماسي ففي سنة ١٠٧٣ تفاوض مع الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع طالباً تحديد الوفاق بين كنيسة روما والقسطنطينية ولكن لم يحدث التوافق[٢٥] .

وفكر البابا بتشكيل قوة مسلحة لتنظيم حملة عسكرية على الشرق بحجة حماية الدين المسيحي وتقديم العون للأرثدوكس ضد السلاجقة ، وفي سنة ١٠٧٤ وجه البابا دعوة لإنقاذ الكنيسة الشرقية، وناشد الامبراطور الألماني هنري الرابع والكونت غليوم الأول البورغوني و ماتيلدا مارك في دوقية توسكانا والى جميع الاوفياء للقديس بطرس في حشد القوة للذهاب الى الشرق ، وقدم خطابه بالقول "قاتلوا بجرأة لكي تنالوا في السماء مجداً يتجاوز توقعاتنا ، وتسنح لكم الفرصة لاكتساب الغبطة الأبدية بعمل طفيف" وكان الشعار للحملة حماية المسيحيين من الأنجاس الوثنين ، فيما كان جوهر الموضوع اعادة الكنيسة البيزنطية الى حضن الكنيسة

الرومانية وتوسيع مناطق نفوذ الكنيسة الكاثوليكية، وفي سنة ١٠٧٤كتب "الجيش الوثني تغلب على المسيحيين ودمر كل ما موجود ووصل الى أسوار القسطنطينية...واذا كنا نحب الله ونرغب في أن يعرفنا المسيح ...يجب علينا التضحية بأرواحنا لتحريرهم" [٢٦]، ولكن غريغوري السابع لم يحقق هدفه بسبب تجدد الصراع ضد الإمبراطورية الالمانية رغم عودته لطرح الموضوع سنة ١٠٨٠والمطالبة بعودة الكنيسة الأرثدوكسية الى حضن الكنيسة الأم[٢٧].

٣- الهروب من المشاكل الداخلية باتجاه الشرق

البابا جريجوري السابع من أهم الشخصيات الدينية الإصلاحية في العصور الوسطى عمل منذ دخوله في هيئة المجلس البابوي سنة ١٠٤٥وحتى سنة ١٠٧٣حين تولى البابوية في إيجاد تغير جذري للعلاقة بين المؤسسة الدينية والمؤسسة السياسية التي تمثلها الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأهم قضية واجهها سيطرة المؤسسة السياسية على اختيار رجال الدين للمناصب وفي الأماكن المختلفة وهو ما أطلق عليه بالتقليد العلماني للكنسيين وهو تعيين الفرد في وظيفته ومنحه الاشارات التي تتمثل بالخاتم والعكاز ، وأي شخص يستلم الشارات من الملك يعني خضوعه لسلطته.

عارض البابا هذا الموضوع وطالب باختيار الأساقفة على أساس القوانين الكنسية والمبني على اختيار رجال الدين في الأبرشية للأسقف ، وإخبار رئيس الأساقفة الذي بدوره يقوم برسامة الأسقف وتقليده الشارات الروحية ويترك للملك منحه الشارة الزمنية فيجعل له بارونية دون الاشتراك في اختياره او الموافقة عليه ، ولكن هذا التقليد الجديد لم يرضَ السلطة الزمنية ذلك أن التخلي عن التحكم برجال الدين يمكن أن يؤدي الى تفكك وانهيار السلطة الزمنية، وكثر الجدل وأشتد النزاع وأحتجت المؤسسة الدينية بماضيها وكتابات آباء الكنيسة و رسائل البابوات لتثبت قيادتها للعالم المسيحي ، واحتج البابا بما قدمه البابا جريجوري الكبير بوجوب تلقي رؤساء الأساقفة شاراتهم من السلطة البابوية حصراً ، وصعد البابا من موقفه ليصدر في ٤آذار ١٠٧٥الأرادة البابوية في ٢٧مادة ومن أهمها سمو كنيسة روما على كل الكنائس وتولي البابا وحده عزل الأساقفة أو إعادتهم لوظائفهم ، وبعد هذه الارادة أصدر مرسوماً سنة ١٠٧٦حرم على كل رجل دين تلقي تقليده أسقفية او دير أو كنيسة من رجل علماني[٢٨].

تأزم الموقف عملياً عند تعيين الامبراطور هنري الرابع الأسقف تيدالدا رئيساً للأساقفة على ميلان أدى ذلك الى تهديد البابا للإمبراطور بالعزل فرد الامبراطور بعقد اجتماع في ورمز في كانون الثاني ١٠٧٦ قرر فيه بطلان انتخاب البابا وعزله من منصبه ، رد البابا بعقد مجمع في شباط أصدر فيه الحرمان للإمبراطور وعزله من منصبه وتحرير جميع رعاياه من تبعيته ، وأنتصر البابا مدعوماً بتعاطف الكثير من المسيحيين وخضع الامبراطور بعد أن قرر أمراء المانيا الخروج عن طاعته في حالة لم يغفر له البابا فأستسلم وخضع للبابا[٢٩].

اختلف الأمراء الألمان حول الإمبراطور لاسيما الطريقة التي استسلم فيها الى البابا فذهب عدد منهم بوجوب خلعه وفعلاً عقد مؤتمراً في آذار ١٠٧٧تم فيه عزل هنري الرابع والمناداة باختيار رودلف دوق سوابيا بدلاً عنه ، ولكن الكثير من أنصار هنري الرابع رفضوا ذلك واندلعت حرب أهلية للمدة (١٠٧٧-١٠٨٠) وقفت

فيها البابوية على الحياد حتى انتصار رودلف فأيدته وأعادت التأكيد على حرمان هنري الرابع وإبعاده عن العرش[٣٠].

زاد أنصار هنري الرابع والمنتفعين منه في ألمانيا وإيطاليا فشجعه على عقد مجمع في بركسن في حزيران ١٠٨٠حضره أنصاره من أساقفة المانيا وشمال إيطاليا ، وتقرر عزل البابا من منصبه وانتخاب جيوبرت رئيس أساقفة رافنا مكانه وأطلق عليه كلمنت الثالث وكان يمتلك خبرة ومقدرة ، وأدار الامور من شمال إيطاليا ضد البابا جريجوري السابع وبذلك انقسمت أوربا وفيها اثنان من البابوات واثنان من الملوك ودارت معركة حامية قتل فيها رودلف في تشرين الاول ١٠٨٠وانتصر هنري الرابع الذي توجه صوب روما واستطاع هزيمة البابوية وعقد مجمع ديني في آذار ١٠٨٤عزل فيه جريجوري السابع وثُبت كلمنت بدلاً عنه وتوج هنري الرابع إمبراطور في كنيسة القديس بطرس[٣١].

هرب البابا جريجوري الى قلعة سانت إنجيلو في روما وطلب المساعدة من أمراء جنوب ايطاليا فساعدوه خوفاً من سيطرة هنري الرابع على مناطقهم ، وبعد عودة هنري الى المانيا هاجم انصار جريجوري روما فدمروا وعاثوا في الارض الفساد ووقع اللوم في كل ذلك على جريجوري فآثر الانسحاب مع قوات جنوب ايطاليا ومات في مدينة سالرنو في آيار ١٠٨٥، وبينما تماشى البابا كلمنت مع متطلبات الامبراطورية تم انتخاب فكتور الثالث لشغل كرسي روما في آيار ١٠٨٦وبعد وموته تم انتخاب أوربان الثاني الذي سار على نهج جريجوري في الاصلاح الكنسي مؤيداً من الامبراطورة ماتيلدا والنورمان في جنوب أيطاليا ، وتجدد الصراع بين البابا أوربان الثاني وهنري الرابع حتى سنة ١٠٩٣ إذ تمرد ابن الامبراطور كونراد على أبيه ودخل في نزاع حتى تنازل هنري عن العرش سنة ١١٠٥، فيما بدأ البابا أوربان استغلال الاوضاع وحشد الطاقات وتوجيه الجميع ضد العدو الخارجي المتمثل بالمسلمين في الشرق[٣٢].

ثالثاً: خطوات البابا أوربان التصعيدية

١- الأدعاء بحرمان المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية

كان أوربان من مؤيدي البابا جريجوري السابع ومساعده الاول في الاصلاحات والنزاع مع السلطة الامبراطورية وكان يعرف جيداً مدى الخلافات في أوربا وحاجته الى قوة عسكرية تسير وفق مخططه وتعيد للبابوية هيبتها وسلطتها ولذلك راهن على الحملة الصليبية والافادة من القوى العلمانية وتوظيفها دينياً فكانت الحرب المقدسة التي تباركها الكنيسة وتؤيدها الحل الامثل والتي يمكن أن توحد الغرب والشرق وتهزم الوثنيين.[٣٣].

أن الذي قام به البابا غريغوري هو الذي ألهم البابا أروبان الثاني للقيام بحركته الكبرى لحشد أكبر عدد ممكن لمقاتلة السلاجقة في الشرق، وظن البابا أوربان ان البابوية في حالة استطاعتها إقناع النبلاء وأمراء الاقطاع والفرسان للذهاب الى الحرب لصالح الكنيسة فأنه سوف يتمكن من إدعاء الشرعية على المواضيع المتعلقة بالحرب ، وفرض سيادتها على العالم الغربي ، وكان البابا غريغوري مؤيداً لذلك وساهمت إصلاحاته على الصعيد الروحي والتنظيمي بانتشال المجتمع من الفساد والسلبية وتنظيم سلوك رجال الدين ونشر التعليم وإعادة تنظيم البيروقراطية للتأكيد على سلطة البابوية والمسؤولية امام سلطة الفاتيكان ، ولكن الصراع مع الامبراطور أجل مشروعه الصليبي ومكنت الظروف الجديدة أوربان من القيام بالمهمة ، ذلك أن التغيرات التنظيمية مكنته الإفادة من المصادر المتعددة لقيام الحملة الصليبية وزيادة الضغط على الأمراء العلمانيين والمهم ان الاصلاحات الدينية جاءت في وقتها وبعثت الروح للتعاطف الديني في اوربا[٣٤].

لم يكن البابا ليفكر فقط في توسيع سلطته على أوربا الغربية ، ولكن الرغبة الأهم زيادة تأثيره على الإمبراطورية البيزنطية ، ذلك ان الانقسام العظيم الذي حدث سنة ١٠٥٤في الكنيسة وتقسيمها الى لاتينية ويونانية لازال وقعه كبيراً على البابوية التي عملت بشكل كبير لإعادة السيادة على الكنيسة اليونانية ، والبابا يمكنه بذريعة مساعدة الشرق في قتاله ضد الكفرة يستعيد التفوق ويرمم الصدع في جسم الكنيسة [٣٥]، وعمل البابا بجهد كبير لإنقاذ أوربا من المشاكل والخلافات والحروب بين الإقطاعيين والامراء ، لاسيما وان مشكلة شحة الاراضي بدأت تطفو على السطح والنظام الوراثي القائم على وراثة الابن الاكبر ملك ابيه سبب في مشكلة مع زيادة أبناء النبلاء الذين فقدوا الارض بسبب هذا القانون ، ومن غير سلطة قانونية وحكومة مركزية كان اللجوء للعنف واغتصاب الارض بالقوة ديدن اللوردات والامراء[٣٦].

أول قضية مهمة في طريق الحملة الصليبية الاولى هي الادعاء بمضايقة زائري الأماكن المقدسة لاسيما في القدس وقد انتشر ذلك بعد نقل رجل الدين بطرس الناسك Peter the Hermit بعد زيارته بيت المقدس والتقى فيها مع سمعان بطريقها سنة ١٠٨٨فحمله الأخير رسالة الى البابا أوربان الثاني تناول فيها معاناة المسيحين من الاضطهاد مطالباً إنقاذهم ، رسالة حاكم القدس والمطلع على المصادر العربية التي تناولت الحملات الصليبية يجد نفيها قضية اضطهاد المسيحين ونقلت أن الفاطميين تعاطفوا بشكل كبير مع زوار القدس ، وإن الخليفة الفاطمي الظاهر (١٠٢٠-١٠٣٥) أعاد بناء كنيسة القيام بعد أن دمرها الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠) سنة ١٠١٠، ونقل الرحالة ناصر خسرو زيارته للكنيسة سنة ١٠٦١ ووصفه لأعمارها وسعتها ورسم السيد المسيح توسطها والقول بأن الزوار يدخلون بكامل حريتهم [٣٧].

أن السلاجقة الذين رافقت حملاتهم الدمار والهلاك والقتل ، ولكن لم تكن لهم مشكلة مع الأماكن المقدسة المسيحية وساروا وفق من سبقهم في التركيز على الضرائب والخراج ، حتى أن الجهاز السابق الذي يدير الامور وهو متكون من طوائف متعددة استمر في عمله ، ومارس المسيحيون واليهود شعائرهم ، وشعرت الطوائف المسيحية التي تخالف الأرثدوكسية في شعائرها وجزء من عقيدتها بالحرية لاسيما المونوفسية والنسطورية ، وذكر عدد من المؤرخين ان السكان المسيحيين في مناطق القسم الشرقي من البحر المتوسط لم يبحثوا عن الحماية من السلاجقة وكان بوسع الزوار للقدس تأدية شعائرهم ، فالسلاجقة لا يهمهم ما يقوم به زوار القدس من طقوس وعبادات بقدر اهتمامهم بدفع الجزية والضرائب لقاء الزيارة كما كان معمولاً سابقاً.

أرسل البابا أوربان الثاني مبعوثاً الى القسطنطينية سنة ١٠٨٨مطالباً التسامح مع الكاثوليك وعدم اجبارهم على ممارسة الطقوس الكنسية بحسب التعليمات الأرثدوكسية ، وطالب بموعد انعقاد مجمع كنسي في القسطنطينية لإجراء مصالحة وإعادة الوحدة للكنيسة ، وبعد تعرض الامبراطورية البيزنطية لخطر التفكك أمام السلاجقة أرسل الامبراطور البيزنطي عدة رسائل الى الملوك والامراء المسيحين ومنهم البابا طالباً المساعدة.

٢- خطاب البابا في مجمع كليرمونت في ٢٧تشرين الثاني ١٠٩٥

بدأ البابا أوربان الثاني حملته من فرنسا والتي فتحت باب العداء بشكل غير مسبوق بين الغرب والشرق وعدت حدثاً فاصلاً فمنذ ذلك الوقت بدأ ينظر للإسلام على أنه العدو الاخطر للحضارة الغربية المسيحية [٣٨]، فقد ذهب الى فرنسا لشحذ الهمم في تشرين الثاني ١٠٩٥بدعوى مواجهة الوثنيين ، وطاف الاماكن الدينية في جنوب

فرنسا ، وانتشرت الأخبار عن وصول الرسول الأعظم الى فرنسا فجاءت إليه الناس من مختلف المناطق وعقد مجمع كنسي للمدة (١٨-٢٥تشرين الثاني١٠٩٥) وفي أقل تقدير حضر ١٢من رؤساء الاساقفة و١٨٠أسقف و٩٠من رؤساء الاديرة والكثير من الناس من مختلف الطبقات[٣٩] فحضر الامراء والفرسان ورجال الدين وعامة الناس ولاسيما الفقراء ذكر البابا بعد التمهيد لخطبته بالوعظ[٤٠].

أخوتي في الإيمان ، أنا أروبان رئيس أساقفة العالم ، جئت اليكم سفيراً وممثلاً عن الارادة السماوية ، أملي أن أجدكم يا خدام الله مخلصين ومتحمسين لخدمته كما هو عهده بكم ، وسأعمل ما بوسعي لانتشالكم من الوضع المأساوي الذي تعيشون فيه [٤١]، وإبعاد أي تقصير وتشويه يتنافى مع قوانين الله ، أنتم تعرفون أن الله حملكم المسؤولية في الحياة الدنيا ، ومن سعادته أن يجدكم مخلصين مطيعين أهلاً لتحمل المسؤولية ، أنتم الرعاة في هذا العالم فعليكم تحمل مسؤولية رعيتكم وحراسة الرعية التابعة لكم ، أن الاهمال واللامبالاة يؤدي بالذئاب الى قتل خرفانكم ، وسوف تخسروا ما وعدكم الله به في الآخرة ولن ينفعكم الندم ويلقى بكم الى جهنم [٤٢].

ذكر البابا أنه جاء في الإنجيل أنكم ملح الأرض ، وعدم الإيفاء بما أمركم به الله يفقدكم هذه السمة والتكريم ، عليكم بالحكمة وإرشاد الناس الذين ظلوا وغرتهم الحياة الدنيا ، أرواحهم مثقلة بالذنوب التي أذهبت ملحها فأصبحت كريه منبوذة ، وينتظرهم العذاب الإلهي ولن تشملهم الرحمة الإلهية، أن وصفكم بملح الأرض حملكم مسؤولية الحكمة والتواضع والعطف والسلام والتعاون والمساواة والنقاء، علموا الآخرين هذه الصفات الحميدة واعلموا أن الفاجر بعمله لا يمكن أن يتحول الى شريف ، كيف يمكن لصاحب الروح الملوثة أن يكون نقياً؟ ومن يجنح لقتل أخوته أن يكون مسالماً؟ وصاحب الايدي المتسخة لا يمكنه أن يطهر الآخرين ، وذكر الانجيل أنه من كان أعمى يقود الآخرين الى الحفرة[٤٣].

اصلحوا أنفسكم حتى لا يلومكم أحد ، وأسعوا في صلاح إخوانكم بعد اصلاح أنفسكم ، و التزموا بالأشياء التي أمركم الله بها، عليكم الالتزام بالقوانين الكنسية وعدم التجاوز عليها ، وعارضوا بيع المناصب الكنسية وشرائها فمن يعمل بها ملعون في الدنيا والآخرة ، الكنيسة أمان لكم حافظوا على استقلاليتها من السلطة العلمانية ، وادفعوا ما بذمتكم من ضرائب كنسية لمؤسساتها ، ومن أموالكم ادفعوا الصدقات ومن لم يفعل ذلك فهو ملعون وسوف يلقى بجهنم ، نحن منذ زمن بعيد نعرف أن المشاكل تعصف بكم ، والجرائم كثيرة في مجتمعاتكم ، وسوء الادارة وعدم تطبيق القوانين السمة السائدة في هذه الايام فلاوجود للعدالة ولا للأمان ، فلا أمان لأحد من السير نهاراً او ليلاً دون أن يهاجمه السراق ، وحتى في بيته لا يجد الرجل الأمان ويمكن أن يُسلب بالقوة ، من الضروري أن تعاد الامور الى نصابها وتنتهي كل هذه الأحداث السيئة ويسود السلام ويتم الاتفاق على هدنة بين الجميع ، وكل من يخالف عليه لعنة الله والحرمان الابدي[٤٤].

شكر الجميع البابا على هذه المواعظ وأيدوه فيما ذهب إليه ، ووافقوا على اقتراحاته المقدمة ، وتعهدوا بتنفيذ أوامره ، وانتقل البابا بعد ذلك الى الموضوع الأهم الذي جاء به الى فرنسا ، فذكر أن إخوانكم في الجزء الآخر من العالم الإسلامي يعانون من أوضاع لا يمكن توقعها أو السكوت عنها ، فعلى الرغم من أن ديننا يدعوا الى السلام وحفظ حقوق الكنيسة ، ولكن في أوقات معينة هناك عمل مهم يجب القيام به وعلينا إظهار قوتنا والدفاع عن حقنا ، إن إخوانكم الذين يعيشون في الشرق طلبوا منكم المساعدة وعلينا الإسراع في الرد كما وعدناهم ، وكما سمع معظمكم ان الاتراك والعرب هاجموهم وغزوا ديارهم في رومانيا الإمبراطورية اليونانية ووصلوا الى البحر المتوسط ، وزحفوا على الاراضي وانتصروا في سبع معارك ، قتلوا وأسروا الكثير ودمروا الكنائس واذا لم يوقفهم أحد وافلتوا من العقاب سوف يقضون على عباد الله المخلصين ، أتوسل بكم بنشر ذلك

في كل مكان وَليُعلم الحاضر الغائب وليستعد المشاة والفرسان والفقراء والاغنياء على وجه السرعة لتدمير ذلك الجنس الحقير وإبعاده من ارض إخواننا ، وأقول لمن حضر ومن غاب إن المسيح يأمركم بذلك[٤٥].

أكد البابا أن كل من يموت في طريقه إليهم بحراً أو براً ، او في ارض المعركة ضد الوثنيين سوف تمحى كل ذنوبه كما وعدكم الله ، والعار عليكم عندما هذا الجنس الحقير عبدة الشيطان يعتدون على ابناء الله المخلصين القائمين على إدامة مجد الله والسيد المسيح ، لن يغفر لكم الله عدم مساعدتهم ، وعليكم ترك الخلافات فيما بينكم والتوجه لمقاتلة العدو الكافر والنصر مكتوب لكم بأمر الله ، اتركوا النزاع فيما بينكم وتوجهوا لقتال البرابرة ، والمرتزقة الذين يفنون حياتهم من اجل أشياء تافهة عليهم الظفر بالغنى الابدي ، اتركوا اموالكم واجروا ارضكم واذهبوا في طاعة الله وفي طريقه الى الشرق وسوف يرشدكم[٤٦].

اقام البابا الطقوس الكنسية وعاد ليعض الناس فخاطب الفرنجة بأنهم الشعب الذي اختاره الله لهذه المهمة بما يمتلكه من مآثر وأعمال وعقيدة كاثوليكية خالصة وكنيسة مقدسة ، بعدها ذكر أن لدينا رسائل واخباراً حزينة جاءت من أورشليم والقسطنطينية ، ذلك أن الجنس الفارسي الجنس الاجنبي اللعين أعداء الله الذين لا تربطهم بالله رابطة قاموا بغزو أراضي المسيح وعمل فيهم السيف فقتل من قتل وسلب من سلب ،اسر من أسر ، وأستعبد المسيحيين ودمر الكنائس وقسم ما حولها الى مساجد ودنس ودمر المذابح ، أسلوبهم في القتل مروع فلم يتركوا طريقة إلا واستخدموها حتى شق البطن واخراج الامعاء والسحب على الارض حتى الموت والاعدام بكل صورة ، ولا يمكن الحديث عن فعلهم في النساء وأقل ما يقال السبي وأخذهن على الاقدام لمسافة شهريين[٤٧].

طالب البابا بالاستعداد للاستعادة الارض وذكر أنه تقع على عاتقكم الانتقام و استعادة الارض ، فالله من عليكم بصفات لا توجد في الامم الاخرى كالشجاعة والهمة العالية والاجسام القوية والروح القتالية لكي تقاتلوا من يعاديكم ، استمدوا القوة والعزم من القادة المسيحيين العظام كشارلمان ، وعليكم التحرك باتجاه القبر المقدس لمخلصنا الذي هو الآن بأيدي غير نظيفة وكل الأماكن المقدسة التي دنست من غير الشرفاء، أيها الفرسان الشجعان اليوم وقت إثبات شجاعتكم ، أن من يفضل أبناءه وأهله وزوجته على الدفاع عن المقدسات فهو خسران ، قال الله في الانجيل من يحب والده ووالدته أكثر مني فليس له قيمة عندي ، ومن يترك بيته واخوته وأخواته ووالده وأمه وزوجته وأبنائه وأرضه في سبيلي فأنه يضمن الحياة الابدية ، أن أرضكم ضاقت بكم وهي تحيط بها الجبال وكثر الناس فيها وتربتها لا تكفي لمعيشتكم ، وكل ذلك أدى بكم لقتل بعضكم بعضاً [٤٨]، اتركوا القتال والخلاف وتوجهوا للإنقاذ القبر المقدس واسترجعوا الارض من الاشرار ، الارض التي ذكرها الكتاب المقدس بأرض الحليب والعسل ، الارض التي منحها الله لأبناء اسرائيل ، أورشليم أفضل أرض في العالم ، غنية بثروتها وهي جنة الله على الأرض ، أرض مخلصنا فيها ولد وعاش حياته وعانا فيها وصلب ، الأرض الملكية اليوم أسيرة بأيدي الاعداء الوثنيين الذين لا يعرفون الله ، طالب أبناؤها المساعدة منكم لأنكم الاشجع في العالم ، أشرعوا بالسفر إليها فسوف تمحى ذنوبكم[٤٩].

ذكر المؤرخون أنه بعد أن أكمل البابا خطابه ، ارتفعت أصوات الحاضرين "أنها ارادة الله، أنها أرادة الله" فرفع البابا عيناه للسماء وشكر الله ، أخواني لقد حققتم ما قاله الله عندما يلتقي اثنان أو ثلاثة في الله يكون الله معهم ، ولو لم يكن الله معكم لم تقولوا ما قلتم ، رددوا هذه الكلمات عند مقابلة الاعداء، لا تأخذوا معكم

الضعفاء او الذين لا يملكون سلاحاً ، ولا يحق للمرأة الذهاب دون موافقة زوجها أو أخوها لأنها سوف تكون عبأ وعائقاً ، على الاغنياء مساعدة الفقراء وتجهيزهم في ترحالهم ، وعلى رجال الدين عدم الذهاب بدون موافقة الاسقف وكذلك العلمانيون بدون موافقة الاساقفة ، وعلى الجميع القسم بالله ولبس الصليب على صدره [٥٠].

٣- رسالة البابا أوربان الثاني الى الفلاندرز في كانون الاول ١٠٩٥

بدأ البابا حملة منظمة لمراسلة أهم المناطق الموالية لحشد أكبر عدد من المقاتلين للذهاب الى الشرق فراسل مقاطعة الفلاندرز(تمثل اليوم المناطق الشمالية من بلجيكا) وذكر في رسالته أن ما أسماهم البرابرة قاموا بغزو ونهب الكنائس الشرقية و مدينة الرب المقدسة وقد باعوا الكنائس ، وأطلعهم على هدف زيارته لفرنسا وانها لأجل دعم الحشد لتحرير الأماكن المقدسة وهذا المشروع كفيل بمحو الخطايا ، وأخبرهم باختياره للأسقف أديمار أسقف لي بوي لقيادة الحملة الصليبية وطالب الجميع بالالتزام بجميع أوامره وأن الخارج عليه كالخارج على سلطة البابا [٥١].

في هذه الرسالة كان البابا واضحاً ودقيقاً في التركيز على حشد الهمم لمحاربة ما أسماهم البرابرة وذكر ما جرى على الكنائس الشرقية والقدس ومن الواضح أنه وضع القدس في المركز الثاني بعد الكنائس الشرقية وقام بتعيين الاسقف أديمار وطالب بطاعته[٥٢]، كذلك فإن اختيار البابا للأسقف لقيادة الحملة يدلل على تمسك البابوية بالقيادة وعدم منحها للأمراء المرافقين

٤- رسالة البابا أوربان الثاني الى بولونيا في ١٩أيلول١٠٩٦

بعث البابا رسالة الى بولونيا تناول فيها الاختلافات العقائدية فيها وأثنى على الكاثوليك وصمودهم امام تطرف الطوائف الاخرى وعين عليهم الأسقف برنارد ليتبنى حملة جمع الناس وتنظيم أمورهم للذهاب باتجاه القدس وقد رحب البابا بسماع استعداد كثير من الناس للذهاب لتحرير الاماكن المقدسة ، وأكد على أهمية صدق النية والرغبة الدينية لتحرير الكنيسة في الذهاب فكل من يذهب استجابة للمؤسسة الدينية وعدم الرغبة في المطامع الدنيوية تضمن له السلطة البابوية وسلطة كبار الاساقفة وجميع أساقفة بلاد الغال ، ورحمة الرب تعفيهم من التكفير المفروض عليهم لقاء الخطايا التي اعترفوا بها ، وناشد البابا الرب لمساعدته ليقود المسيحيين المشاركين الذين تحرروا من الاخطاء وتعلموا التضحية فوق كل شيء[٥٣].

تناول البابا في رسالته قضية الخلافات التي حدثت ضده في بولونيا ومساندة البعض للمدعي البابوية كلمنت الثالثClement III وبارك البابا المخلصين لنهج البابوية على الرغم من كثرة المنشقين والذين كثير منهم أدرك الخطأ وعاد الى سلطة البابا ، وحدد الأسقف برنارد نائباً عنه وطالب الجميع بإطاعة أوامره وبذلك عزز موقفه امام المعترضين ونظم الامور لحشد أكبر عدد في الحملة الصليبية وبذلك فأنه ثبت سلطة البابوية وهي هدف مهم من حملته في جميع أوربا[٥٤]

٥- رسالة البابا أوربان الثاني الى فالومبروسا في ٧تشرين الاول ١٠٩٦

ذكر البابا في رسالته الى فالومبروسا(تقع اليوم في ايطاليا) علمه بالاستعدادات القائمة لرفد الحملة الصليبية وعده من المآثر والتضحية التي سوف تسجل لهم ، ولكن اعترض على الطريقة التي تقوم عليها الاستعدادات والناس القائمين عليها ، وطالب بذهاب الفرسان فقط لكبح وحشية السارسين ، ومنع رجال الدين من الذهاب دون أذن مسبق من رؤساء الأساقفة حتى لا يعرضوا أنفسهم للخطر ، وطالب من مقدم دير سان ريبارتو الامتثال الى النظام الديري المعمول به في فالومبروسا والالتزام بتعليمات من أعلى منه في الرتبة وهدده عند عدم الامتثال بإصدار بحقه الحرمان الرسولي وطالب بنشر الرسالة على الجميع[٥٥].

تناول الباحثون رسالة البابا والتي خص بها رجال الدين والعلمانيين وذكر أحد المؤرخين أن الرسالة كشفت المشاكل التي يعاني منها المجتمع والتركيز عليها أكثر من التركيز على الحملة الصليبية وتعامل البابا مع رئيس الدير بقوة وحزم وتهديد ولقد ساعد ذلك رئيس الاساقفة برنارد دجلي أوسيرتا على تثبيت سلطته وفرض السلطة على الجميع لاسيما وأن البابا طالب الجميع بطاعة رجال الدين[٥٦].

رابعاً: توثيق الحملات الصليبية وفق ما جاء به المؤرخون الغربيون

المرحلة الأولى تبدأ منذ سنة ١٠٩٥ وحتى نهاية القرن السادس عشر ، ومثل اندفاع المسلمين باتجاه الأراضي المسيحية تهديداً خطيراً لأوربا الغربية بالنسبة لمؤرخي المرحلة الأولى ووجوب دفاع المسيحين عن الأراضي المقدسة ووقف التهديد بكل شكل من الاشكال، وركز مؤرخو المرحلة الأولى على التهديدات الإسلامية للأماكن المقدسة المسيحية والسكان المسيحين في الشرق وتناولوا الاحداث (المروعة) التي سبقت الحملة وربطها بنهاية الألفية والأخبار التي ذكرت احتمالية ظهور المسيح الدجال ، فيما ركز المؤرخ أودو ديوت Ode of Deuit على دور الملك الفرنسي لويس السابع Louis vII فيما أرخ وليم ناير السجلات الوثائقية ووجهة نظر الكنيسة اللاتينية والقول أن الحملة الصليبية ستبقى في ذاكرة الاجيال المسيحيين المخلصين وأنها مسددة الهياً وأراد عن طريقها تحرير أبنائه من الطغيان والاستبداد، فيما ذكر البابا أنوسنت الثالث Innocent III في توثيق الحركة الصليبية سنة ١٢١٣وأن الحملة الصليبية هدفها تقديم المساعدة للأخوة في العقيدة وعدم تركهم تحت سلطة الأتراك ، وذهب دون جون مانويل Don Juan Monuel في كتابه Libro Delos Estates في القرن الرابع عشر أن المسلمين غزوا الكثير من الأراضي العائدة للمسيحين منذ عهد الحواريين ، لذلك الحرب سوف تبقى مستمرة مع السارسين حتى استعادة المسيحين لأراضيهم المغصوبة[٥٧].

إن انتصار الاتراك العثمانيين وسيطرتهم على القسطنطينية ، بعث الروح مجدداً في تناول المؤرخين للحملات الصليبية فكتب فيليب الطيب دوق بورغندي الفرنسية عن الملحمة الكبرى للحملات الصليبية في بداية القرن الخامس عشر عاداً اياها مفخرة في تاريخ المسيحية ، وطالب بندكت أكوترس في سنة ١٤٦٤ بقيام حملة صليبية ضد الاتراك بعد احتلالهم القسطنطينية ، وكل هؤلاء الكتاب تغنوا بأمجاد الحروب الصليبية لبعث الروح في المسيحين لاستعادة القسطنطينية[٥٨].

اختلفت وجهات النظر حول الحرب الصليبية منذ القرن السادس عشر الميلادي الذي شهد حركة الاصلاح الديني فعدها كتاب البروتستانت مظهراً من مظاهر السيطرة البابوية التي حاولت مد نفوذها على كل الاراضي المسيحية واستغلت حاجة الكنيسة الشرقية للمساعدة ، فيما أكد الكتاب الكاثوليك على أهمية تلك الحملات في بعث الوعي الديني والتصدي لمحاولات الاتراك السيطرة على الاراضي المسيحية ، وفي عصر التنوير عدت الحملات الصليبية أعمالاً بربرية قام بها المتعصبون والمتطرفون ، وذهب أدوارد جبين Edward Gibbn انها حملات أهدافها الكسب الاقتصادي وتحسين الاوضاع الاجتماعية الاوربية والافادة من الشرق الغني بخيراته.

خامساً: مؤرخو الحملة الصليبية الاولى وصورة الاسلام في مؤلفاتهم

١-مآثر الفرنجة لكاتب مجهول

أول سجلات تاريخية تناولت الحملة الصليبية الأولى ، وسجلت الأحداث منذ تشرين الاول ١٠٩٥ التي تزامنت مع حضور البابا أوربان الثاني مجلس كليمونت وحتى معركة عسقلان في آب سنة ١٠٩٩، وسجلت لكاتب مجهول بني الظن أنه رافق الحملة وهو إما نورماندي أو إيطالي تم تجنيده في حملة بوهيموند التورانتوي Bohemond of Toranto سنة ١٠٩٦[٥٩]، أرخ المؤلف الحملة الاولى منذ انطلاقها وعبورها مضيق البسفور وتناول حصار نيقية ومعركة دوريلام وكذلك حصار ومعركة إنطاكية وبعد الاستيلاء على معرة النعمان سنة ١٠٩٨وعودة بوهيموند الى أنطاكيا فيما واصلت القوات الأخرى طريقها الى أورشليم ولوحظ أن المؤلف إلتحق بالحملة الى جانب ريموند وساهم في الزحف على أورشليم وحصار عسقلان[٦٠].

من الواضح أن معرفته عن الإسلام محدودة جداً ومشوشة فيما يخص الأتراك والعرب [٦١]، قسم الكتاب الى الذي تناول أمجاد الأبطال من عشرة فصول ويبدو أن التسعة الأولى كتبت قبل حصار أنطاكية في تشرين الثاني ١٠٩٨والاخير كتب بعد معركة عسقلان ولذلك عد الكتاب من أهم السجلات الوثائقية للحملة الصليبية الأولى باعتباره ثاني شاهد على حصار أنطاكيا واعتمدت عليه المؤلفات التي جاءت بعده[٦٢]

٢-بطرس التودبدوسي Peter Tudebode

رجل دين فرنسي شارك في الحملة الأولى الى جانب القائد ريموند وكتب عن تاريخ الحملة الصليبية وأهم ما سجله حصار أنطاكيا[٦٣]، ولمدة طويلة عُدَ تاريخه مزوراً وأتهم بالافادة من معلومات كتاب جيستا فرانكورم ، ولكن إكتشف عدد من المؤرخين أن ما جاء به بطرس أكثر من مجرد استنساخ معلومات سابقة وان بطرس إعتمد على المصادر التي أفاد منها الكاتب المجهول في تأليفه وأضاف معلومات جديدة لم يتطرق لها الكاتب المجهول ودللت انه كان عنصراً فعالاً في الحملة [٦٤] .

٣-ريموند الجولرز Raymond of Aguilers

رجل دين فرنسي وقائد دير فيزلي ، رافق الحملة الصليبية الأولى وكتب تاريخها سنة ١١٠١ تحت عنوان تاريخ الفرنجة وفقدت كثير من المعلومات بعد معركة عسقلان وعد تاريخه من السجلات المهمة لاسيما في حصار أنطاكيا ، وذكر أنه كتب ليؤرخ جهود ريموند الرابع التولوزي[٦٥]، كان ريموند شاهد عيان اهتم بأن يؤرخ لريموند الرابع التولوزي الذي قاد قسم من الحملة ورحلته عبر سلافونيا(الآن شمال شرق كرواتيا) وحصاره لأنطاكيا وحصار أورشليم ، ووصف عدد من المعجزات السماوية التي كانت ترافق الحملة الصليبية ، الأمر الذي أدى بعدد من المؤرخين الشك في مصداقية نقله للأحداث، فيما ذهب عدد من المؤرخين الاعتماد على روايته ذلك أنه نقل معلومات جديدة لم تكن منقولة سابقاً ، كان المؤلف جزءاً من الحملة الصليبية الاولى ، وعن طريق كتابته عرف بتعليمه الجيد وتمكنه من القداس وتأييده للحملة الصليبية ، والغرض من عمله اطلاع الناس على ما جرى في الحملة ، وأوضح أهمية الحملة والجيش الإلهي الذي على الرغم من معاناته في الطريق انتصر على الوثنيين بإرادة الله [٦٦].

٤- فوشيه الشارتري

رجل دين فرنسي ولد سنة ١٠٥٩وعين في سنة ١٠٩٧قسيساً في بالدون البولونية وقد درس في مدارس شارتري ، وتدل تفاصيل مجلس كليمونت في تأريخه على حضوره شخصياً ، أو أنه استمع لشخص حضره كالاسقف أيفو اوف شارتريس والذي أثر بشكل كبير على فوشيه في قضية إصلاحات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وقد كان فوشيه جزءاً من الوفد المرافق للدوق ستيفن بلوس وروبرت النورماندي اللذان أتخذا طريقهما من جنوب فرنسا وايطاليا سنة ١٠٩٦وعبر الامبراطورية الرومانية الشرقية من باري حتى وصلوا الى القسطنطينية سنة

١٠٩٧والتحقوا بالحملة الصليبية الاولى[٦٧]، ولقد سافر في آسيا الصغرى الى مارشا قبل أن يصل الجيش الى أنطاكية سنة ١٠٩٧وقد عين مرافقاً مع بالدون البولوني ، وبعد الاستيلاء على أورشليم سنة ١٠٩٩ ذهب للمدينة لإكمال الحج ، وعندما أصبح بالدون حاكم أورشليم رافقه فوشيه حتى وفاته سنة ١١١٨ولقد خدم بعد ذلك في جبل الزيتون وبقي في أورشليم حتى سنة ١١٢٧بعد هذا التاريخ اختفت أخباره [٦٨].

كتب فوشيه تاريخ الحملة الصليبية في ثلاثة أجزاء ، بدأ الكتابة في سنة ١١٠١وأكمله سنة ١١٢٨وعُد من أفضل المصادر عن الحملة إذ تضمن خطاب البابا أوربان الثاني في مجلس كليمونت ، وتم استخدام رواياته كمصدر من المؤرخ جيوبرت المعاصر له ، تناول في الجزء الاول الحملة الاولى من مجلس كليمونت سنة ١٠٩٥والرحلة الى أورشليم وانتهى برسالة موت جودفريي Godfrey of Jerusalem في ١٨تموز ١١٠٠[٦٩] وفي الثاني كتب للقائد بالدون والمملكة التي في أورشليم حتى سنة ١١١٨ وفي الثالث كتب أيضاً الى بالدون الثاني والتوسع في المملكة المسيحية حتى سنة ١١٢٧وتناول تاريخ أورشليم وكيف ضربها الطاعون وأرخ لها حتى سنة ١١٢٧وعد تاريخه من افضل ما كتب معاصراً للحملة الصليبية[٧٠].

٥-روبيه الراهب

رجل دين فرنسي وراهب دير سانت ريم ولد سنة ١٠٥٥ ، وذكر حضوره في مجلس كليمونت سنة ١٠٩٥وسماعه خطاب البابا أوربان ومشاهدته ، على الرغم من كتابته للتاريخ بعد أثني عشرة سنة ولكنه تضمن خطاب البابا والدعوة لحمل السلاح ، وذكر أنه أتبع الاسلوب الدرامي وجزء منها كتب في ظل نشوة الانتصار في الحملة الاولى ، وتناول محنة المسيحيين في الشرق تحت الحكم التركي والوعد بغفران الذنوب لكل من يساهم في الحملة [٧١]، وتضمنت نسخته تفصيلاً مأساوياً لما حدث لمسيحيين من تدنيس كنائسهم وقتل رجالهم وسبي واغتصاب نسائهم ، وتناول إشادة البابا بالجنس الفرنجي وتذكيرهم بأمجادهم وبطولات ملوكهم[٧٢]، عد تاريخ روبيه من أشهر ما نشر عن الحملة الصليبية في القرون الوسطى ذلك أن المؤرخين عثروا على أكثر من ١٠٠مخطوط له والكثير من المصادر الاخرى اعتمدت عليه [٧٣]

٦- جوبرت النوجنتي

ولد في مدينة كليرمونت البافارية وانظم في دير القديس جيرمر دي فلاي و درس علم اللاهوت ، وفي سنة ١١٠٤أختير راهب في دير نوجنت سوسكوسي ، واستمر في دراسته الدينية[٧٤].

أول أعماله فيما يتعلق بالحرب الصليبية أعمال الرب بأيدي الفرنجة أكمله سنة ١١٠٨، أهم ما تطرق اليه من مادة تمثلت باستجابة الفرنسيين في الحملة الاولى فقد كان يعرف الكثير من رفاقه الذين شاركوا في الحملة ونقل عنهم الكثير لاسيما في تجربتهم في الحملة الصليبية [٧٥].

٧- بطرس الناسك

ولد في سنة ١٠٥٠، أسقف مينز وشخصية محورية في الحملة الصليبية الأولى ، ذكر أنه حاول الذهاب في زيارة الأماكن المقدسة في أورشليم قبل سنة ١٠٩٦ ولكنه منع من السلاجقة الاتراك من الوصول الى هدفه وتم معاملته معاملة سيئة ، الأمر الذي ترك عنده انطباعا سيئاً عنهم ، واختلفت الروايات حول رحلته فهناك من أشار الى عدم سفره مطلقاً ، وكذلك اختلفت في وجوده عند حضور البابا في مجلس كليمونت ، ولكن

المؤكد أنه من أشهر الوعاظ في فرنسا تأييدا للحملة الأولى وساهم وعظه بشكل كبير في حث آلاف الناس على المساهمة الفعالة وأكثرهم من عامة الناس وقاد حملة الفقراء والمعدمين باتجاه أورشليم ، وذكر أنه حصل على موافقة بطريرك أورشليم سيمون وقام بتجنيد المسيحين من إنكلترا وفرنسا والفلاندرز ووصل في حملته الى المانيا في ربيع ١٠٩٦وكان أحد قادة الحملة التي قامت بمذبحة ضد اليهود في أراضي الراين والتي اتسمت بأشد أنواع القسوة ، وقام ورفاقه بمذبحة أخرى ضد اليهود في مملكة اللورين ، وساهم في قتل اليهود في مينز ولم يمنحهم الأمان رغم توسلهم به ، وقام أتباعه بتمزيق التوراة أين ما وجدوها.

بدأ حملته بإتجاه أورشليم في نيسان ١٠٩٦، وقاد ٤٠ألف من الرجال والنساء ووصل مع ٣٠ألف الى القسطنطينية في نهاية تموز وفي طريقهم تعرضوا للكثير من المناطق ودخلوا في معارك حتى مات وقتل منهم حوالي ١٠ألف ، ولم يلتزموا بالتعليمات التي وجهت لهم من إمبراطور القسطنطينية ودخلوا في مشاكل عدة آخرها مهاجمة الاتراك الذين هزموهم في معركة سيفتوت وقتل الكثير منهم ، ولقد كان بطرس شاهداً مهماً في رواية تاريخ الحملة [٧٦].

٨- رالف الكاني

كتب رالف جيستا تاريخ الحملة الصليبية بعد سنة ١١٣٠ على شكل أناشيد ونثر مما جعلها محل شك فهي تحتوي على نوع من الادب الملحمي ويبدو ان الكاتب أراد أن يكون تاريخاً ملحمياً ، ولكن من الصعب التمييز بين ما هو حقيقي وما هو خيالي والكتاب يحوي على معلومات مكررة لمؤرخين سابقين أفاد منها رالف في مؤلفه وكان صهر للأمير بوهيمود ووصي الحكم على أنطاكيا وبعد حصار أورشليم أصبح حاكماً على الجليل ، لم يعرف الكثير عنه وذكر أنه من إقليم كان الفرنسي وقد درس في كاتدرائية المدينة وقد رافق بوهيموند وبعد موته سنة ١١١١غادر رالف الى أنطاكيا فدخل في خدمة تانكرد[٧٧] ، اعتمد بشكل كبير على الشهادات وبشكل مباشر ولقد سجل كثيراً لحاشية الأمراء والجنود مما جعله موضع انتقاد وكان يطلق الأحكام المسبقة دون أن يوضح للقارئ الحدث كاملاً[٧٨] .

٩- البرت الأكاني

كتب البرت الكاني تاريخ الرحلة الى أورشليم ، وعد من أهم المؤلفات المعاصرة للحملة وكتب في المدة (١١١٩-١١٣٠) والمؤلف من إقليم أكانيا من أرض الراين ولم يكن من الذين ساهموا في الحملة ولكن جمع شهادات من الذين شاركوا في الحملة وركز على جودفري البولوني وأتباعه الذين نشطوا في مساعدة الامبراطور الألماني وأضاف معلومات جيدة عمن سبقه[٧٩].

سادساً: صورة الإسلام وفق ما جاء به المؤرخون الى نهاية الحملة الصليبية الاولى

المتداول بين المسيحيين في بلاد الشام في عهد الحروب الصليبية أن محمداً تلمذَ على يد الراهب النسطوري سرجيوس بحيرا ، وأخذَ منه المعلومات التي وردت في الكتاب المقدس ، وعلى ضوئها أعلن نبوته في بلاد الجزيرة العربية[٨٠]، وانتشرَ في المصادر البيزنطية أن نبياً مخادعاً ظهر وسط السارسين معتمداً في نشر دعوته على السيف والحرب وسجله حافل بسفك الدماء[٨١]، وترجمت كتابات يوحنا الدمشقي الى اللاتينية والذي أطلق على محمد بالنبي الكاذب ، ولقد استمرت الصورة المشوهة والسيئة عن النبي محمد في المصادر اللاتينية[٨٢].

ورث الأوربيون معلومات عن البيزنطيين مفادها أن محمد رجل مسيحي الأصل تزوج من ثرية وكان مصاباً بالصرع وهدفه من ديانته القضاء على المسيحية عن طريق تشريع الحرية الجنسية بشكل واسع والسبب الرئيس في دعوته استخدامه للسحر الذي استطاع عن طريقه نشر دعوته في الشرق وفي أفريقيا وإغراء الناس بالحرية

الجنسية وانتشرت قصص في التاريخ الاوربي من الفضاعة ليس من المناسب ذكرها أقلها طريقة وفاته وافتراس الخنازير له بعد أن كان في حالة صرع [٨٣].

اعتمدت كتابات المؤرخين والأدباء الأوربيين حول الديانة الاسلامية للمدة(٧٠٠-١١٠٠م) على الكتاب المقدس والاساطير الدينية لمعرفة أصول المسلمين والذين كان يطلق عليهم السارسين وتسبب الرجوع الى المصادر الدينية المسيحية في سوء فهم كبير عن الديانة الاسلامية ونبيها محمد ، فمن المعلوم أن الكتاب المقدس الوسيلة الوحيدة لفهم الماضي والحاضر والمستقبل في العصور الوسطى عند أتباع السيد المسيح وساهم في صياغة مفاهيم وافكار كثيرة عن العالم والتاريخ لاسيما في المعتقدات الدينية وظن المسيحيون أن حل مشاكل العالم يكمن في معرفة وتدبر وإتباع الكتاب المقدس لذلك فأن رؤيتهم للإسلام في العصور الوسطى تبلورت عن طريق الرجوع الى الكتاب المقدس الذي فيه إشارات عن السارسين الذين سكنوا الجزيرة العربية [٨٤].

أول من تصدى لدراسة الاسلام ونبيه هو عالم اللاهوت الإنكليزي القديس بيدا Beda وهو متبحر في دراسة وتفسير الكتاب المقدس حتى أن آثاره بقيت مهمة حتى القرن الثاني عشر ، وقد عاصر معركة بواتييه (بلاط الشهداء) ووصف السارسين بالكفار البرابرة الذين نزل عليهم الغضب الإلهي في هذه المعركة ، وفي معرض تفسيره للكتاب المقدس أرجع السارسين الى اسماعيل بن هاجر زوجة ابراهيم (ع) معتمداً على التفسيرات الانجيلية التي ترجع المسيح الى اسحاق بن سارة زوجة النبي ابراهيم ، و اسماعيل جد اليهود وقد آمن مفسرو الانجيل بشكل قاطع إن السارسين من ابناء اسماعيل الذي طُرد الى الصحراء وقد سكن السارسين الصحراء ، ونقل عن العهد القديم أن اسماعيل كان بدوياً شرساً رافعاً يديه على الجميع ويمكن القول أن عالم اللاهوت بيدا أول من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم وأتبع المؤرخون أفكاره[٨٥].

عد مطران توليدو أوبلوغيوس ثاني أهم علماء اللاهوت في القرن التاسع الميلادي والذي ربط بين السيطرة الاسلامية على مناطق واسعة وبين ظهور المسيح الدجال (Antichrist) وأستند في روايته على ما جاء في الكتاب المقدس في سفر دانيال " ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك ويتكلم بكلام ضد العلي ويظن أنه يغير الاوقات السنوية" وظن في كلامه أن المقصود في سفر دانيال هو محمد الذي جاء بتاريخ جديد لأتباعه وذكر أن الاسلام يمثل مؤامرة حاقدة على المسيحية تنكر كل العقيدة المسيحية وأن كل ما يحدث هو مقدمة لظهور المسيح الدجال إن لم يكن السارسين هم الدجال ويمكن القول أن أفكاره ناقصة وجاهلة بالإسلام ونبيه وقومه ولم يكلف نفسه الاطلاع على أي مصدر إسلامي لمعرفة النبي محمد ولم يعرف شيئاً عن كتاب القرآن وكل أفكاره قديمة وبائسة قائمة على التصورات الاسبانية واللاتينية القديمة .

وجد اسم النبي محمد في المصادر الغربية خارج إسبانيا وايطاليا الجنوبية مرة واحدة لحد سنة ١١٠٠وبعد عام ١١٢٠عرف الغرب صورة محمد القائمة على الوهم والخرافة والخيال الناتجة عن مصادر جنوب فرنسا القائمة على روايات الفرسان ورجال الدين المشاركين في الحملة الصليبية الاولى وبدأت هذه الصورة تدخل كمادة تدريسية في الاديرة والدارس التابعة للكنيسة ، والمعروف عن هذه البيئة انتشار القصص الخرافية والاساطير التي تتحدث عن بطولات شارلمان وكرامات العذراء وهي التي نسج فيها القصص الخيالية عن الاسلام ونبيه وترددت هذه القصص في الشعر الاوربي وانتشرت بشكل كبير جيلاً بعد جيل[٨٦]، ومن أهم هذه

الملاحم الشعرية أناشيد رولان التي صور المسلمين فيها عبدة أصنام وجاء فيها أن السارسين يعبدون ثلاثة أصنام وهي ترافاغان Trevagan ومحمد والذي سماه ماتوماس Mathomas وأبولو Apollo ولديهم عشرات الآلهة الاخرى منها أبليس وجوبتير وديانا وأفلاطون والمسيح الدجال ولقد تجذرت هذه التصورات في أوربا العصور الوسطى عن الاسلام ونبيه[٨٧].

تعمقت الصورة منذ الاستعداد للحملة الصليبية وبدأ الاهتمام بشكل كبير عن معرفة العدو الذي اجتاح مناطق مهمة من الامبراطورية البيزنطية وسيطر على الاماكن المقدسة في أورشليم لكونه شكل تهديداً وجودياً للمسيحية في الشرق ولأماكنها المقدسة ، وتم بلورة صورة مشوهة قاتمة لا تمت الى الإسلام ونبيه بصلة لا من قريب ولا من بعيد و انتشرت اما بسبب جهل الغرب بالإسلام ونبيه أو انها قضية متعمدة لكسب ود المسيحين في الغرب لاسيما بسطاء الناس الذين لا يعرفون شيء عن الاسلام ونبيه محمد وتحفيزهم على الدفاع عن المقدسات في القدس التي تم الادعاء بتدنيسها من السارسين .

أطلق مصطلح السارسين أو ساراسين أو ساراكينوس (باللاتينية: Saracenus، ساراسينوس؛ باليونانية: Σαρακηνός، ساراكينوس) في العصور الوسطى على أي شخص عربي أو تركي أو من أي قومية أخرى يؤمن بالديانة الإسلامية ، فيما استخدم الرومان المصطلح على القبائل التي كانت متاخمة لهم في المناطق الصحراوية ، وفي المسيحية توسع المصطلح ليشمل القبائل العربية بشكل عام وفي عهد الخلافة العباسية فأن البيزنطيين أطلقوا المصطلح على كل مسلم تابع للخلافة الإسلامية وفي عهد الحملات الصليبية انتشر المصطلح الى أوربا الغربية ليستمر في الاستخدام في العصر الحديث[٨٨]

أهم القصص التاريخية التي تم تداولها في أوربا سجلات أساقفة سالسبري Chronicles of the Archbishops of Salzbury وردَ فيها قصة رئيس الاساقفة ثيمو Bishop Thiemo الذي ساهم في الحملة الصليبية الأولى على فلسطين سنة ١١٠١وانقطعت أخباره ونسجت حوله الروايات منها أسره من السلاجقة الروم في أنطاكيا في ايلول سنة ١١٠١وتعذيبه وقتله بأبشع طرق القتل حتى قورن باضطهاد المسيحين في عصر الشهداء في عهد الامبراطور الروماني ديسوس Decius [٨٩] وعد شهيداً في سجلات الكنيسة الكاثوليكية يحتفى به يوم ٢٨أيلول من كل عام.

ذكرت الرواية أن الحملة التي شارك فيها ثيمو هزمت امام الوثنيين وتم أسر الاسقف ورفاقه وذات يوم عرف حاكم المدينة أن الأسقف لديه خبرة في الترميم فطلبه لترميم أحد التماثيل التي يعبدونها ، وبادر الاسقف بطلب مطرقة ودنا من التمثال وخاطب الشيطان المستقر فيه مطالباً إياه بالخالق الواحد مغادرة التمثال ، وأمام رفض الشيطان بادر الاسقف لتحطيم التمثال مما أغضب الحاكم وتم تعذيبه وحكم بالقتل ، وقبل أن يقتل توسل بالحاكم ترك عبادة زحل وجوبتير وآلهة الخصب ، ولكن الحاكم رفض وطالب بقطع أصابع يديه ولسانه وقتله وسحب في شارع المدينة ، وانتقلت روحه الى السماء بواسطة الملائكة ، ونادى الشيطان من داخل الصنم الاكبر محمد[٩٠] "أن انتصار المسيحية عليكم قادم لا محال ولا يمكن الوقوف أمام مجدها وطالب بدفن الاسقف وعدم التعرض له ليصبح قبره مزاراً للمسيحين يشفى عنده المرضى وتكثر الكرامات ليفرض احترامه حتى على الوثنين"[٩١].

توضح هذه الرواية الخرافية هدف المتطرفين الباحثين عن الحروب لنسج القصص الكاذبة عن العدو الذي توجب قتاله بأوامر الهية ، فالعدو وثني متعصب منتهك لحرمات الاماكن المقدسة وعلى المجتمع المسيحي رفد الحملات الصليبية بالمال والرجال للدفاع عن مقدساته ، وبطريقة محبكة تم ربط ما يحدث بعصر الرسل

والشهداء الذين ناضلوا ضد الوثنين وركز الوعظ الديني على تعامل السارسين مع المسيحين والقول أن العدو واحد في العصر الماضي والحاضر والحملة التي دعت لها البابوية جزء من المعاناة الممتدة على طول التاريخ مع الوثنين وبلغت ذروتها في هذا الوقت للقضاء على الوثنية والتمهيد لظهور المسيح ، فهؤلاء الوثنيون يعبدون الصنم محمد ، وكل ما تم تصوره مأخوذ عن الكتاب المقدس والرومان ونظرته لسكان الجزيرة العربية اللذين يطلق عليهم السارسين الوثنين ، والقتال ضد الوثنيين يعني الانتقام من الذين ساهم أجدادهم بقتل المسيح بعد صلبه وتعذيبه وانتصارات المسيحية على الوثنية في التاريخ تؤكد حتمية الانتصار على السارسين[٩٢].

عدت الحملة الصليبية الأولى استجابة مهمة للمؤسسة الدينية ، وقيام مرحلة مهمة من مراحل التقوى والإيمان وبداية عهد جديد في الدفاع عن المقدسات مقروناً بحمل السلاح للدفاع عن المراسيم العبادية التي يدعون بأن السارسين حرموا المسيحين منها ، وتم تصوير الذهاب في طريق القدس قمة التواضع والخضوع لإرادة الله والقتال ضد أعداء المسيح ، وشوهدت مواكب الفرسان وهي تطوف حفاة الاقدام حول حائط أورشليم لعدة أيام قبل الاستيلاء عليها وأورد المؤرخ ريموند دي أجلرز ان رجال الدين كانوا يحملون الصلبان وآثار القديسين وترتفع الرايات وأصوات الابواق ، وأن التطور الكبير في حمل السلاح من مجتمع كان مسالماً في زياراته كان يحتاج الى مبررات وأعلام لحث الناس وتشجيعهم للمشاركة فإرادة الرب ترافقهم في حملتهم لإرجاع أورشليم من الوثنيين وركز كل من كتب عن الحملة الاولى انها جزء من مخطط الهي[٩٣].

دعا مؤلف تاريخ الفرنجة الى الوقوف بوجه الوثنين الذين يعبدون الاله محمد ولكنه لم يوضح طبيعة ذلك العدو الوثني ولماذا تحرك المسيحيون للاستيلاء على أرضهم ، وأكد على النزاع الطويل في تاريخ المسيحية ضد الوثنية والوعد الالهي بانتصار المسيحين ولم يشذ عن قاعدة أن السارسين عبدة أوثان إلا المؤرخ جوبرت النوجنتي ذكر أنهم موحدون ونبيهم يدعا محمد وهو ليس اله فيما ذهب ريموند أن رحمة الله ساعدت قواتنا على الانتقام من الوثنيين وعلى نفس المنوال رالي دي كاين أن هدف الحملة الصليبية باتجاه بيت المقدس جزء من نضال مجيد للدفاع عن الارض المقدسة والقضاء على عبادة الاصنام في تلك الارض المقدسة [٩٤].

قدم المؤرخ بيتر توبيدو تصوراً مهماً عاداً الحملة الصليبية انتصاراَ مهماً لأبناء السيد المسيح ضد أعداء الله، وأدعا أن السيد المسيح قاد أبناءه للانتصار ضد الوثنيين ليحقق المخطط الإلهي لجيش الرب ، وتطرق الى الحماسة الكبيرة التي ملأت قلوب المناصرين للحملة منذ سنة ١٠٩٥لاسيما في بلاد الغال وربط الحملة بعصر الرسل وعصر الشهداء ، ونقل عن أسقف تم محاصرته مع مجموعة من أتباعه في نيقيا مخاطباً أتباعه "كونوا أقوياء في أيمانكم ولا تخافوا من العدو والقتل في سبيل الله فالقتل يأخذ بالجسد ولا يمس الروح وكل من يقتل فهو شهيد في سبيل الله[٩٥].

أن ربط الحملة الصليبية بنضال الرسل هدفه ربط السارسين بالدور السلبي للوثنين على مر التاريخ ووسمهم بالوثنية والكفر ضرورية للتأكيد أنهم أعداء الله وتم الخلط بشكل متعمد فوصف الكاتب أن من حاصر المسيحيين هم الاتراك والسارسين والعرب والوثنيون وآخرون حتى ذكر بابل ، وصور الكاتب خوف مجتمع السارسين من المسيحين الذين لديهم مكانة كبيرة عند الله ، ومعرفتهم بهزيمتهم امام جيش الرب وقدم قصصاً عن صمود الأسرى فالأسير رينالدو بروكتس أسره الاتراك مع رفاقه في أنطاكيا وطلب منه الحاكم امورليوس

Amiralius ترك ما يعبد والايمان بالإله محمد مقابل منحه كل ما يريد ولكنه رفض وفضل أن يقتل في سبيل عقيدته ولا يخضع للوثنيين .

تناول توبيدو المعنويات المنهارة للقوات الوثنية فحاكم الموصل كورباغ Kerbogha والذي سماه المؤرخ كوربان يعقد مجلساً عسكرياً ذكر فيه ان المسيحيين منتصرون لامحالة وسوف يسيطرون على آسيا الصغرى ، وطلبت منه أمه العارفة بعلم التنجيم عدم قتال الفرنجة لأن ربهم يقاتل معهم وهم ورثة الرسل وقد وعدهم المسيح بالسيطرة على هذه الاراضي ونقل عن أم الحاكم "ولدي العزيز كان يروى أن امة المسيح سوف تتغلب علينا وتهزمنا وتحطم آلهتنا وسوف يكون النصر حليفها في كل مكان"[٩٦].

يمكن القول أن مؤرخي الحملة الصليبية الاولى يتخيلون العدو وفق مخيلتهم وآرائهم واهدافهم وإعادة بنائه لتبرير الحملات ، والادعاء بالخوف والرعب والهزيمة في معسكر الوثنيين فحتى علم التنجيم والعرافة أكدت حتمية انتصار المسيحيين ، وروى توبيدو من وحي خياله أنه في حصار القدس جاء الوثنيون بتمثال مغطى قيل أنه محمد ليواجهوا به صليب السيد المسيح ، وانتصر الصليب وانهزم محمد فكانت البشارة بالاستيلاء على أورشليم وتحققت نبوءة الكتاب المقدس، وكتب التنجيم الوثنية بهزيمة الوثنيين وانتصار جيش إسرائيل وجيش الرب .

وصف المؤرخ ريموند الحملة الصليبية بانتقام الهي ضد الكفر وجعل من وثنية السارسين عنصراً اساسيا في روايته وأدعى تفوق المسيحيين باعتراف السارسين ، فبعد أن زار وفد من بابل ومصر المسيحيين شاهدوا تفوق المسيحيين ، وأدعى ريموند ان السارسين عذبوا الزوار المسيحيين ولذلك فكل ما فعله المسيحيون من قتل في القدس مبرر ليتحقق حكم الله في الكفرة الذين دنسوا الاماكن المقدسة وهم امتداد للذين عذبوا المسيح وصلبوه وقتلوه[٩٧].

نقل المؤرخ بطرس الراهب عن حاكم أورشليم أميروسوس Amirauissus الذي شاهد سقوطها "نحن الذين كنا نقهر الآخرين واليوم قهرنا وكنا سعداء واليوم في حزن ، لا أحد يمكنه وقف جريان دموعنا وبكاءنا وحسرة قلوبنا ، لقد انهزمت جيوشنا " وألقى باللوم على الاله محمد الذي لم يكن له دور في مساعدة عبيده فذكر " محمد نحن عبدناك وأقمنا لك المزارات وزيناك بالذهب والفضة وأقمنا للك المراسيم الدينية فأين هي قوتك أمام المسيح الذين أهانونا فقوة صليبهم أقوى من قوتك وهي ممتدة من السماء ، وفي السياق ذاته كتب المؤرخ رالي دي كان في تاريخ الفرنجة ان القائد تانكردس وجد تمثالاً كبير مزين بالذهب والفضة في معبد سليمان فخاطبه "هل أنت تمثال أبولو أم زحل ، ولكن يبدوا أنك تمثال اللئيم والخبيث محمد ، نعم انه انت سوف أسقطك على الأرض وأحطمك[٩٨]

الخاتمة

كانت هناك أربعة أهداف عند البابا عندما دعا الى الحملة الصليبية فالأول وجد الفرصة مناسبة لإعادة توحيد الكنيسة وتأكيد سمو البابوية وربما إخضاع الشرق لسيطرة الغرب والثاني توجيه الملوك والامراء والنبلاء المتخاصمين فيما بينهم والمؤثرين سلباً على الحياة العامة لتعزيز قوة البابوية وتأسيس المجتمع الواحد الذي يرأسه البابا بدلاً من الوحدات الادارية الكثيرة المبنية على الحصون والقلاع والمتنافسة على الكثير من الموارد والحدود فيما بينها فالمسيحيون لعدة قرون دخلوا في نزاعات وحروب لأتفه الاسباب والحملة الصليبية تقدم الفرصة الذهبية لتوحيد الجهود للقتال في ظل الكنيسة ولأهداف مقدسة ، والثالث قدمت الحملة الصليبية قوة دافعة للمسيحيين

لاستعادة إسبانيا والرابع يمكن للحملة الصليبية ملء الخزائن الفارغة للكنيسة نتيجة النزاعات باعتبار ان المسلمين وثنيون ويحق قتلهم ونهب أموالهم.

اجتمعت عدة اسباب في القرن الحادي عشر لتؤدي الى قيام الحملة الصليبية الأولى على الشرق ، تمثل السبب المباشر من وجهة النظر الغربية مواجهة السلاجقة الأتراك الذين فرضوا سيطرتهم على الكثير من المناطق التي تعود للكنيسة الشرقية لاسيما الأراضي المقدسة المسيحية في القدس وبناءً على طلب المساعدة الذي قدمته الامبراطورية البيزنطية .

أفادت المؤسسة الدينية من الاخبار والشائعات التي انتشرت حول تدنيس الاماكن المقدسة في القدس والاعتداء على سكان المدينة ، وعملت على توظيفها بشكل كبير فرددها البابا غريغوري وأوربان الثاني في خطبه ورسائله وكانت أهم موضوع لحشد الناس البسطاء وأرسالهم الى الشرق.

استغلت المؤسسة الدينية الحملة الصليبية أفضل استغلال في توسيع سيطرتها وهيمنتها على المجتمع العلماني في أوربا الغربية وكذلك التأثير على سيادة الامبراطورية الرومانية الشرقية ولهذا السبب من وجهة نظر المؤرخين الغربيين دعا البابا غريغوري السابع والبابا أوربان الثاني لقيام الحملات ضد السلاجقة.

وجدت البابوية الفرصة لزيادة سلطتها ليس فقط على المؤسسات التابعة للكنيسة ولكن على القوى العلمانية ، ووصل الامر الى الحرمان الكنسي ضد كل من خرج على حكم البابوية أو عارضها كما حدث مع أمبراطور الرومانية المقدسة هنري الرابع ، ونجاح البابا دفعه باتجاه حشد الطاقات من النبلاء والاقطاع للذهاب في حملة صليبية .

في مجتمع يسوده العنف والخلافات واحتمال فقدان الأرض وتنازع الفرسان عليها زادت الرغبة في الذهاب باتجاه الشرق للحصول على الأراضي الغنية وعد ذلك هدفاً مهماً أضافة الى الأهداف الدينية التي تتعلق بالتعاطف الكبير مع المسيحيين ، والرغبة في انقاذ الأماكن المقدسة لاسيما في الحملة الأولى ذلك أن الأهداف الدينية قلت بالمقارنة مع الأهداف الدنيوية في الحملات الأخرى.

يمكن القول أن الاكاذيب والخرافات نسجت لتشويه الاسلام ونبيه ولم تكن هناك أي معرفة ولو بديهية عن الإسلام عند ذلك المجتمع وهذه القصص الخيالية ساعدت على إيجاد عدو يمكن أن يسارع لقتاله عامة الناس ويدفع بالأرواح والاموال للدفاع عن الاماكن المقدسة وإرضاء الرب وكان ذلك تطوراً مهماً جديداً في تاريخ المسيحية ، ولم يخرج عن قاعدة أن المسلمين عبدة أوثان إلا المؤرخ جوبرت النوجنتي .

لا يجد المتتبع لخطاب البابا أوربان ورسائله وكتابات مؤرخي الحملة الأولى أي ذكر لمصطلح الإسلام وإنما تكرار لمصطلح السارسين والذي يدل في الأدبيات الاوربية على وثنية متبعيه وجهلهم وتخلفهم، ولازال يذكر المصطلح في المناهج الدراسية الاوربية عند تناول الحملات الصليبية وأن من قاتلهم الصليبيون قوم يعرفون بالكفار أو(السراسنة).

هناك خلط كبير ويمكن أن يكون متعمداً في الإشارة الى السارسين والعرب والأتراك والفرس وبابل ومكة في المصادر ، ولكن المشترك في كل هذه المصطلحات وثنية أتباعها وجهلهم وقسوتهم والغرض من ذلك تمرير فكرة الحرب المقدسة ضد الوثنين ومنحها الشرعية المطلوبة.

يمكن القول إن المصطلح استمر في الاستخدام في كل وقت تثار فيه المشاكل والحروب بين الغرب والشرق وهناك من المتطرفين من كلا الفريقين عمل بشكل فاعل بالتذكير بالمصطلح لغايات هدفها تأجيج الفتن والإفادة من الحروب لتمرير المشاريع المختلفة .

الهوامش

[١] محمد سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار النفائس ،٢٠١١، ص١٩.

[٢] ميخائيل زاباروف ، الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين ، موسكو ، دار التقدم ، ١٩٨٦، ص٥.،ص١٣.

[٣] ميخائيل زاباروف ، المصدر السابق ، ص٦-٧.

[٤]محمد جلال كشك ، القومية والغزو الفكري ،الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٧ ص٢٩، نقلاً عن مجلة الطليعة القاهرية ، وليم سليمان ، ١٩٦٦، ص٨٤.

[5] Mike Pain, The Crusade,London, 2005,pp11-12.

[٦] ميخائيل زاباروف ، المصدر السابق، ص٥.

[7] Helen Steel, Holy War, p.2.

[٨٨] جوناثان رايلي سميث ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ط١، ٢٠٠٩، ص ص٢١-٢٢.

[٩] قاسم عبدة ، الخلفية الأيدولوجية للحروب الصليبية ، دمشق، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، ١٩٨٨، ط٢، ص٤٣.

[١٠] ستيفن رانسيمان ، تاريخ الحملات الصليبية ، ترجمة : نور الدين خليل، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤،ج١، ص٨٣.

[١١] المصدر نفسه ، ص٨٣ نقلاً عن:

John Wikinson, Jeruslem Pilgrims before Crusades, London,1977,p.42.

[12]https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/…/j.1468-5906.2011.01577_8 Stark, Rodeny, Gods Battalions, The case for Crusade, p88.

Eusebius Vila Constantinic, chs,xxv-xi given in Palestine Pilgrims Text Socity,vol,1.

[١٣] قاسم عبده قاسم، المصدر السابق، ص٣٤ ، نقلاً عن :

Steven Runcimon, The Pilgrimages to Palastine before 1095, in Sctton , History of Crusdes,vol I,pp68-70.

[١٤] ستيفن رانسيمان ، المصدر السابق ، ص ص٨٧-٨٨ نقلاً عن :

Gregory of Tours,De Gloria Martyrum, in M.P.L,vol,lxxi,cols,pp719-720;Delehaye Les Origines du Cult des Martyres,p.49.

[١٥] محمد سهيل ، المصدر السابق، ص١٩؛ستيفن رانسيمان، المصدر السابق ، ص ص٨٩-٩٠.

[١٦] قاسم عبده قاسم ، المصدر السابق ، ص ص٣٦-٣٧.

[١٧] محمد سهيل، المصدر السابق ، ص ١٩ نقلاً عن : يحيى بن سعيد الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص ص٢٤٧-٢٤٨.

[١٨] المصدر نفسه ، ص ص٢٠-٢١؛ قاسم عبده قاسم ، المصدر السابق ، ص ص٣٨-٣٩.

[١٩] قاسم عبده قاسم ، المصدر السابق ،ص ٤٠ .

[٢٠] محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، تونس ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٢، ص٣١.

[21] http.com, Steele, Helen, Holy Wars: The Origins and Effects of the Crusades

[٢٢] بسام العسلي ، الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، دار النفائس ، د.ت، ص٦٣

[٢٣] المصدر نفسه ، ص٦٣.

[٢٤] محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠، ص١٨.

[٢٥] المصدر نفسه ، ص٦٤.

[26] Thatcher, Oliver J. trans. and McNeal, Edgar H. eds. “Gregory VII: Call for a ‘Crusade’, 1074”. A Source Book for Medieval History. New York: Scribners, 1905. P.512;Steele, op.cit.,p.1.

[٢٧] زاباروف ، المصدر السابق ، ص ص٣١-٣٢.

[٢٨] السيد الباز العريني ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت، ص ص٤٥٤-٤٥٥.

[29] *Brooke, Z.N. (1968). "Germany under Henry IV and Henry V". In Tanner, J.R.; Previte-Orton, C.W.; Brooke, Z.N. (eds.). The Cambridge Medieval History. Volume V. Cambridge University Press.*pp,.140-143.

[30] Ibid.

[31] Ibid.

[٣٢] يواقيم رزق مرقس ، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثودكسية،ص٢٩.

https://st-takla.org/Coptic-History/000-Coptic-Orthodox-History-00

[33] Jonathan Riley-Smith, The Oxford Illustrated History of the Crusades. Oxford, Oxford University Press, 1995,p4-14.

[34] Holmes, George. The Oxford History of Medieval Europe. Oxford: Oxford University Press 1992. Reproduced in Halsall,p.128.

[35] Bull, Marcus. "The Pilgrimage Origins of the First Crusade". London, 1997) p.,18.;Steele.,p.,2..

[36]Cantor, Norman F. The Civilization of the Middle Ages. New York: Harper Perennial 1993,p291;Steele,op.cit.,p.,2.

[٣٧] محمود سعيد عمران ، المصدر السابق ، ص١٨.

[38] Jay Rubenstein, *Armies of Heaven: The First Crusade and the Quest for Apocalypse* (New York,
2011), 22–30; Thomas Asbridge, *The Crusades: The War for the Holy Land* (London, 2010), 33–39;

[39] Thomas F. Madden, The Concise History of the Crusades (Maryland: Rowman and Littlefield, 2013), 1.

[40]Riley-Smith, Jonathan, The First Crusade and the Idea of Crusading (Great Britain: Anthlone Press, 1986), 74-
75.

[٤١] راغب السرجاني ، قصة الحروب الصليبية ، القاهرة ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٨، ص٥٥.

[42] Bongars, Gesta Dei per Francos, The Speech of Urban II at the Council of Clermont, 1095, fulcher of Chartres; https://archive.org/details/jstor-1834642, The Speech of Pope Urban II. At Clermont, 1095 is an article, from The American Historical Review,p.1.

[43] https://www.loc.gov/item/06040128/ Medieval Sourcebook: Urban II:Speech at Council of Clermont, 1095, according to Fulcher of Chartres

[44] D.Munro. The speech of Pope Urban II at Clermont, 1095. in: AHR 11.2 (1906) pp.231-242 .

[45]Bongars, op.cit., p.,1.

[46] Ibid.

[47] Oliver J. Thatcher and Edgar Holmes McNeal, (Ed.), *A Source Book for Mediæval History: Selected Documents Illustrating the History of Europe in the*

Middle Age (New York: Charles Scribner's Sons, 1905), 518-521;URBAN II, SPEECH AT THE COUNCIL OF CLERMONT ...

[٤٨] حسام حلمي يوسف، الأوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- الجامعة الاسلامية -غزة ، ٢٠٠٧، ص٣٤.

[٤٩] رافت عبد الحميد ، الفكر السياسي الاوربي في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١، ص ص ٦٨-٦٩.

[50] Bongars, op.cit, p.2.

[51] Riley-Smith, Jonathan, The First Crusade and the Idea of Crusading (Great Britain: Anthlone Press, 1986),pp., 74-75

[52] George Strack , Pope Urban II and Jerusalem: a re-examination of his letters on the First Crusade ,pp5-6. Robert Somerville, 'Adhemar of Le Puy, Papal Legate on the First Crusade,' in Law
as Profession and Practice in Medieval Europ: Essays in Honor of James A. Brundage, ed. Kenneth Pennington and Melodie Harris Eichbauer (Farnham, 2011), 371-85.

[٥٣] قاسم عبده قاسم ، المصدر السابق ، ص٢٣٢نقلاً عن
Riley Smith, op.cit.,pp38-39.

[54] James A. Brundage, 'The Crusader's Wife: A Canonistic Quandary,' *Studia Gratiana* 12 (1967): 425-41,Georg Strack, p4.

[55] Patrick Zutshi, 'Petitions to the Pope in the Fourteenth
Century', in *Medieval Petitions: Grace and Grievance*, ed. W. Mark Ormond, Gwilym Dodd, and Anthony Musson
(Woodbridge, 2009), 82-98; Georg Strack,op.cit.,p1.

[56] Peters, *The First Crusade*, 44.

[57] Giles Constable, Historiography of the Crusades, in The Crusades from the Perspective of Byzantium and the Muslim World, edited by Angeliki E. Laiou and Roy Parviz Mottahedeh, Dumbarton Oaks, 2001 ,pp2-5.

[58] Ibid.,p6.

[59] Allen ,S.J, The Crusades, University of Toronto , 2014,p.56.

[60] Thomas Asbridge, The First Crusade, 2012, pp57-58.

[61] Allen ,j. Ami ,Emil, The Crsddes, Toronto,p56.

[62] HILL, R. M. T. , Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum, London, Nelson.,1962, p11-16. Tudebodus, 1977:Introduction; Marius Kjormo,op.cit., The holy Lance of Antioch, p17.

[63] Jay Rubenstein, What is the Gesta Francorum, and who was Peter Tudebode,2005,pp179.

[64] Tudebodus, 1977:Introduction; Marius Kjormo,op.cit., The holy Lance of Antioch, p18

[65]RAIMUNDUS DE AGILES, MILL, J. H. & HILL, L. L. (1968) Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, Philad. P15.

[66] Ibid,p15.

[67] David Thomas , Alex Malleti, Chrisstani – Muslim Relation: A Bib loi Graphical History, 1050-1200,vol.3,Brill,2011,p401.

[68] Fulcher of Chartres, in the First Crusade: the Chronicle of Fulcher of Chartres and other source materials,1998,pp47-49.

[69],FULCHERIUS CARNOTENSIS (1844) Recueil des historiens des croisades: historiens occidentaux, Paris, Imprimerie Royale. pp112-113.

[70] FULCHERIUS, C. & HAGENMEYER, H. (1913) Historia Hierosolymitana (1095-1127), Heidelberg, Carl Winters Universitätsbuchhandlung , pp50-55. Fulcher of Chartres, Encyclopedia of Britannic

[71] Madleny , Thomas, The Concise History of the Crusades, p264.

[72] Carol Sweetenham, Robert the Monk History of the First Crusade,vol 11,2005.

[73] Robert the Monk and Sweetenham, 2005,pp4-5.;Marius Kjormo, pp22-23.

[74] Frank Barlow, William Rufus, California, 1983, p.90.

[75] Elizabeth Lapina, Anti-Jewish rhetoric in Guibert of Nogent Dei gesta per Francos, Journal of Medieval History, 2009, pp239-242;Encyclopadia Britannica, 1911, vol,12,Guibert of Nogent.

[76] Herbermann, Charles, Peter the Hermit,Catholic Encyclopedia, New York,1913.

[77] RALPH OF CAEN (1844) Recueil des historiens des croisades: historiens occidentaux, Paris, Imprimerie Royale;Marus,op.cit.,p20-21.

[78] RALPH OF CAEN, BACHRACH, D. S. & BACHRACH, B. S. (2005) Gesta Tancredi, Aldershot, Ashgate. ,pp1-5.; Marius, op.cit.,pp20-21.

[79] ALBERTUS AQUENSIS & EDGINGTON, S. B. (2007) Albert of Aachen: Historia Ierosolimitana, Oxford, Clarendon Press. :Introduction.

[٨٠] محمد سعيد الملاح ، صورة محمد عند الغربين في القرون الوسطى وآثارها المعاصرة ، ص٢، نقلاً عن أليكس جورافسكي ، الأسلام والمسيحية ، ت: خلف محمد الجراد ، عالم المعرفة ، العدد ٢١٥، تشرين الثاني ١٩٩٦، الكويت ، ص٧٤.

[٨١] محمد سعيد الملاح ، المصدر السابق ، ص٢نقلاً عن

Walter Emil, Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest, Church History,vol.38,1969, pp139-144.

[82] Encyclopedia Britannica, Muhammed,

[٨٣] محمد سعيد الملاح ، المصدر السابق ، ص٦٩.

[٨٤] ريتشلرد سوذرن ، صورة الاسلام في أوربا في العصور الوسط ، ترجمة : رضوان السيد ، بيروت ، دار المدار الاسلامي ، ٢٠٠٦، ص٥٣.

[٨٥] المصدر نفسة ، ص٥٤

[٨٦] المصد نفسه ، ص٦١

[٨٧] المصدر نفسه ، ص٦٩.

[88] Encyclopedia Britannica, Saracen.

[٨٩] أمبراطور روماني حكم للمدة (٢٤٩-٢٥١) عرف بقسوته تجاه المسيحين وأضطهادهم وقتل الكثير ومن أبرزهم البابا فابيان للمزيد ينظر :

Scarre, Chris, Chronicle of the Roman Emperors, 1995, p169.

[٩٠] اشارة احدى الروايات ان ماهومت أسم كاردينال من الكنيسة الكاثوليكية فشل في الجلوس على كرسي البابوية فهرب الى شبه الجزيرة العربية وأسس الديانة الجديدة وصور النبي محمد انه ذلك الكاردينال ، محمد سعيد الملاح ، المصدر السابق ، ص٣.

[91] Michael Camill, The Gothic Ideal:Ideology and Imago-Making in Medieval Art, Cambridge, 1989,pp129-132;David R,Blanks, Western Views of Islam in Medieval and Early Modern Europe,New York, St.Martins Press, 1999, p.98.

[92] Riley Smith, The First Crusade and Idea of the First Crusade,Kenneth Smith, History of the Crusdes,vol6, Philadelphia, 1984; p.99.

[93] Raymond D Aguilers, Libers,John , Paris, 1969, p.145.

[94] Ibid.

[95] Petrus Tudebodus, Historia de Hierosolymitano,31;David R.Blanks,op.cit.,p100

[96] Ibid,p112; David R.Blanks,op.cit.,p103.

[97] Raymond d Aguilers, op.cit.,p103,

[98] Rauol de Caen,p.129, David R.Blanks,op.cit.,p109.

المصادر العربية و المعربة

- **ابن تَغْري بَرْدي (جمال الدين يوسف): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، ١٩٦٣).**
- **حسن طه نجم ، أمريكا اللاتينية –أرضا وسكاناً ، (الكويت : جامعة الكويت ، ط١، ١٩٩٠).**
- **رودريجث أوخينيو تشانج ، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية ، ترجمة عبد الحميد الغلاب وأحمد حشاد ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧).**
- **سامح كريم ، موسوعة أعلام المجددين في الإسلام ، (بيروت : الدار العربية للنشر ،٢٠١٠).**
- **عصمت راشد زينب، تاريخ أوربا الحديث من القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر، (القاهرة، دار الفكر العربي ، ، ١٩٨٦).**
- **علي أحمد هادي ، أسس الجغرافية السياسية ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ٢٠٠٣)**
- **علي موسى ، محمد الحمادي ، جغرافية القارات ، (بيروت : دار الفكر المعاصر ،١٩٩٧).**
- **عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، (دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٥).**
- **عزيز فوال بابتي ، موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالميين) ، (بيروت ، دار الكتب العالمية ،٢٠٠٩).**
- **عيسى علي أبراهيم ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، (القاهرة : دار المعرفة الجامعة ، ط١).**
- **محمد خميس الزوكة ، جغرافية العالم الجديد ، (بيروت : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠).**

المصادر الأجنبية

- Ballantyne, Tony. Science, Empire and the European Exploration of the Pacific. ,(London,2004).
- Boorstin, Daniel , The Discoverers: A History of Man's Search to know his World and Himself,(Vintage,1985).
- Chrisman, Florence , The Romance of Balboa Park (4th ed.).(San Diego: San Diego Historical Society,1985).
- Columbus, Ferdinand , The Life of the Admiral Christopher Columbus by his son Ferdinand(New Brunswick: Rutgers, The State University, 1959).

- Floyd, Troy , The Columbus Dynasty in the Caribbean, 1492-1526. (Albuquerque: University of New Mexico Press ,1973).
- Francis, John Michael , Iberia and the America, ,(London,2005).
- Frederick A.Ober, Pizarro and the Conquest of Peru,(New York,1906).
- Fergus, Fleming, Off the Map: Tales of Endurance and Exploration(New York, Grove Press, 2004).
- George Cubitt, Pizarro, The Discovery And Conquest of Peru (London: John Mason, 1849).
- Helps, Arthur, The Spanish Conquest in America, New York, 1850.
- Hemming, John, The Conquest of the Inca, London, 1970.
- Herbst, Philip , The Color of Words: An Encyclopedic Dictionary of Ethnic Bias in the United States.(New York, Intercultural Press, 1997),
- Lavery, Brian, The Conquest of the Ocean,(New York, NY: DK Publishing, 2013).
- Livi-Bacci, Massimo , "The Depopulation of Hispanic America after the Conquest". Population and Development Review. 2006.
- Lynn V, Foster, A Brief History of Mexico, New York, 2010.
- Manuel José Quintana, Lives of Vasco Nunez de Balboa, and Francisco Pizarro (London: William Blackwood, 1832).
- Morison, Samuel Eliot , Admiral of the Ocean Sea: A Life of Christopher Columbus. (Boston: Little, Brown and Company, 1942).
- Robins,Doak, Christopher Columbus: Explorer of the New World, Minneapolis, 2005,
- Philips, Carla Rahn , The World of Christopher Columbus,(Cambridge, Cambridge University Press, 1993).
- Pons, Frank , The Dominican Republic, A National History. (New Rochelle: Hispaniola Books, 1995).
- Sweet, William Warren , A History of Latin America,(New York, 1919)
- Shboul, Ahmad, Al-Mas'udi and His World,(London, Ithaca Press, 1979).
- Teresa A .Meade, History of modern Latin America,(Oxford, 2010).

- Thacher, John Boyd , Christopher Columbus: his life, his work,.(New York: G. P. Putnam's Sons. 1903).
- Victor H, Olmsted, Cuba Population, history and Resources, (Washington, 1907).
- William D,Phillips, The Word of Christopher Columbus,(New York, 1993).